ISSN 2305-591X

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

٥١

Yanabee'a ينابيع

مَجلّةٌ ثقافيّةٌ تُعنى بنشرِ فكرِ أهلِ البيتِ عليهم السلام/ السّنة ١٠/ العَدَد ٥١ رجب ـ شعبان ١٤٣٤هـ/ أيار ـ حزيران ٢٠١٣م

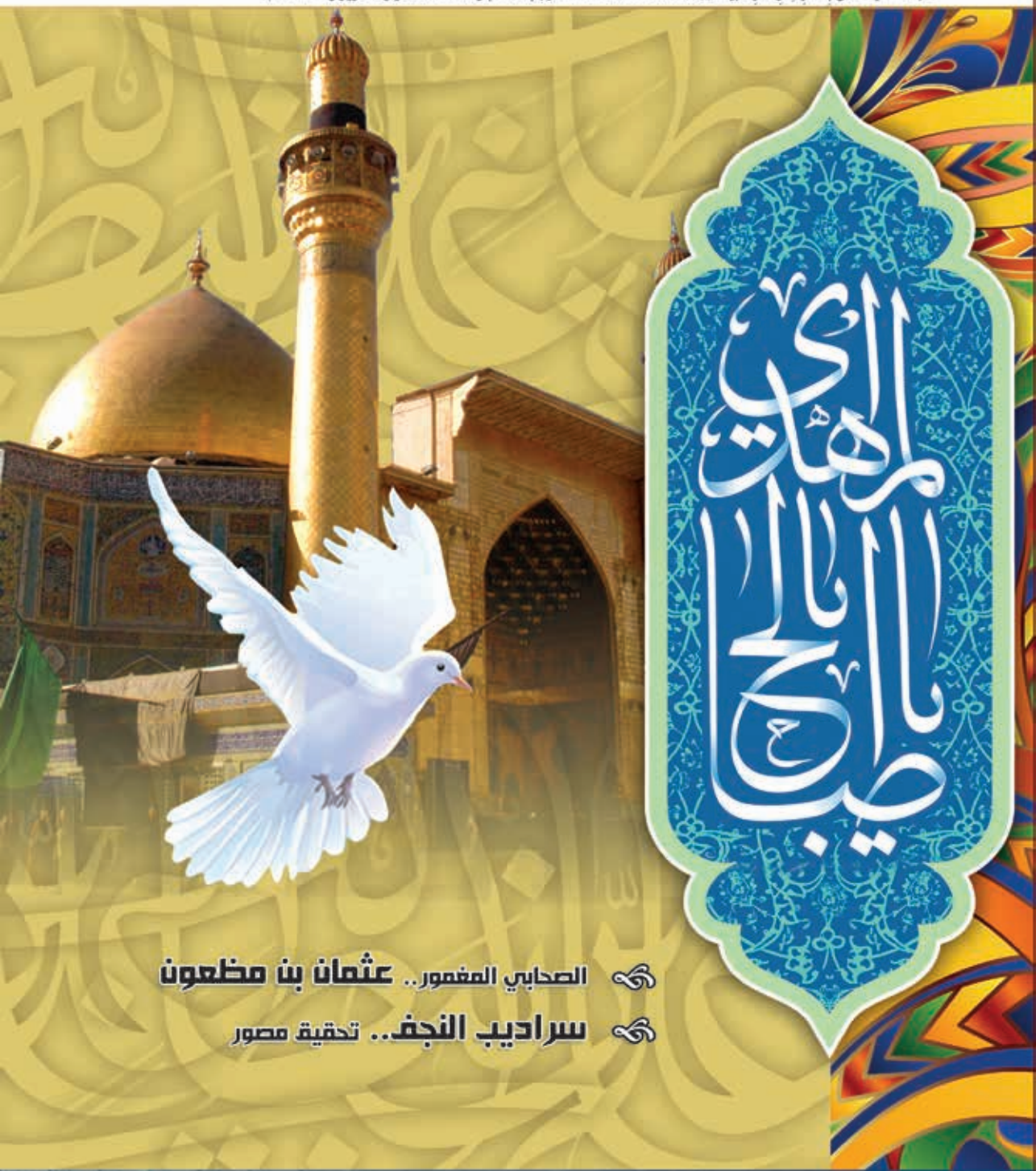

يا أيها الراهب

- الصحابي المغمور.. عثمان بن مظعون
- سراديب النجف.. تحقيق مصور

ينابيع ٥١
Yanabee'a

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام
تصدر كل شهرين عن

مؤسسة المعارف للثقافة الإسلامية

1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
الحاج فلاح حسن العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

التدقيق ومراجعة النصوص
ضياء حسن

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر

كرافيك
انس إحسان العرياوي

تصميم الغلاف
أحمد كاظم الصفار

التنضيد الإلكتروني
باقر محمد الطريفي
محسن جاسم العبدلي
ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الاشرف ـ حي السعد
العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org
البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com
ص.ب (٥٥٠) موبايل: ٠٧٨٠٢١٧١٥٠٥

الرائد للطباعة ـ النجف الأشرف

تحقيق مصور:
سراديب النجف

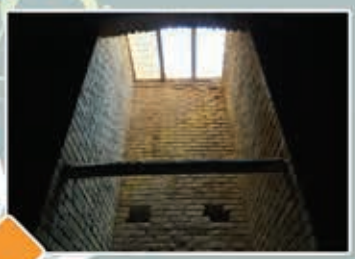

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦
مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ٢٠٠٥/١١/١٦ م

- المقالات تعبر عن رأي اصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات الى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات الى اصحابها سواء أنشرت ام لم تنشر.

رَجبُ الأَصبّ

عن عبد الله بن العباس، قال: كان رسول الله ﷺ، إذا جاء شهر رجب، جمع المسلمين حوله، وقام فيهم خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر من كان قبله من الأنبياء ، فصلى عليهم، ثم قال:

«أَيّها المُسلِمون قَد أَظلَّكُم شَهرٌ عَظيمٌ مُبارك، وَهو شهرُ الأصب، يصيبُ فيه الرحمة على من عَبدَهُ، إلّا عَبدًا مُشركًا، أو مُظهرَ بدعةٍ في الإسلام، أَلا إنَّ في شهرِ رَجبٍ لَيلةً مَنْ حرَّمَ النومَ على نفسِهِ قامَ فيها، حرَّم اللهُ تعالى جَسدَهُ عَلى النارِ، وَصافحَهُ سَبعونَ ألفَ مَلَكٍ، ويَستَغفرُونَ [له] إلى يَومٍ مثلِهِ، فإنْ عادَ عادَت الملائِكة..

ثم قال: من صام يومًا واحدًا من رَجَبٍ، أُومِنَ من الفَزعِ الأكبرِ، وَأُجيرَ مِن النارِ».

مستدرك الوسائل ٧ / ٥٣١

قصيدة:

لِعَلِيٍّ في ولادَتهِ الأُولى ..

د. أحمد كريم العلياوي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

كَفِّـي طَريـقٌ وَالمَـدى أَرمَـدُ ... مُنطَفِـئٌ صَوتِـي ولا أَخمُـدُ
أَنتَظِـرُ الغَيـمَ عَسـى أَنَّـهُ ... يُفصِـحُ أَو يَرحَـلُ أَو يَقصِـدُ
أَدُورُ حَـولَ الفَجـرِ فـي حُجـرَةٍ ... غـابَ بِهـا الشُـبّاكُ وَالمَرصَـدُ
أُخبِـرُ أَغصانـي التـي أَينَعَـتْ ... مِـلْءَ انتِظـاري .. أَثمَـرَ المَوعِدُ
أُعلِـنُ أَنِّـي تائِـهٌ مُقفِـرٌ ... وَجهِـي بَعِيـدٌ وَيَـدِي أَبعَـدُ
فَالمِلْـحُ مـازالَ عَلـى جَبهَتِـي ... فَكَيـفَ يَنمُو الذِكـرُ أَو أَسـجُدُ ؟
وَكَيـفَ أَتلُـوُ .. لُغَتِـي مَسـرَحٌ ... يُعانِـقُ الـرَبَّ .. وَلا يَعبُـدُ
أَشـعرُ أَنَّ الليـلَ مِـن بَسـمَتِي ... يَفتَـحُ عِنـدَ الحُـزنِ مـا يُوصَدُ
كَفِّـي طَريـقٌ وَالمَـدى أَرمَـدُ ... أَنـا سَـرابٌ والنَـدى مَرقَـدُ
أَلثُـمُ شُـبّاكَ النَـدى لَيتَنِـي ... أَنـدى وَجُـدرانَ الصـدى تَبـرُدُ
أَنبَأَنـي العَـرّافُ فِـي مَكَّـةٍ ... قـالَ .. سَـيَأتي المـاءُ وَالفَرقَـدُ
وَقالَ..بـؤسُ الرَمـلُ عِنـدَ الدُجى ... بُسـتانُ فَجـرٍ فِـي غَـدٍ يُوقَـدُ
بُيُوتُنـا الأَصنـامُ لكنَّمـا ... فِـي كُلِّ شُـبّاكٍ نَمَـى المَسـجِدُ
أَنبَأَنـي العَـرَّافُ فـي كَفِّـهِ ... قـولٌ وفـي إِصبَعِـهِ مِربَـدُ
يَرسُـمُ لـي بَيتَـاً بِـلا بابِـهِ ... يَقـولُ لِـي .. البـابُ لا تُوجَـدُ

وَعَلَّـــقَ الرَســـمَ عَلـــى أَحرُفـــي ... وَقـــالَ لِـــي يَجمَعُنـــا المَولِـــدُ
القَلَـــقُ الماطِـــرُ قَـــد جاءَنـــا ... تَراكَـــمَ الهَـــمُّ .. وَلا نُنشِـــدُ
يَسِـــيلُ ضَـــوءُ العُمـــرِ مِـــن لَيلِنـــا ... عُشّـــاً مِـــنَ الشَـــوكِ بِـــهِ نُســـعَدُ
يـــا أَيُّهـــا العَـــرّافُ يـــا عارِفـــاً ... تَأكُلُنـــا الأَوثـــانُ .. لا المَعبَـــدُ
حِجـــارَةٌ لُعابُهـــا ســـاخِنٌ ... فَكَيـــفَ لِـــي فِـــي ظِلِّهـــا مَقعَدُ ؟
وَكَيـــفَ أَبقـــى .. مَكَّـــةٌ أَعلنَـــتْ ... مِـــنْ كُلِّ بَيـــتٍ صَنَـــمٌ يُطـــرَدُ
وَالصَمـــتُ ثَرثـــارٌ عَلـــى خُطوَتِي ... فَكَيـــفَ لِلآتـــي غَـــداً أَصعَـــدُ ؟
يُجيبُنـــي الإِعصـــارُ فـــي أَضلُعِـــي ... أَنـــتَ شَـــهِيدٌ وَالهَـــوى مَشـــهَدُ
رَأَيـــتُ أَنَّ الرَســـمَ بَيتـــاً غَـــدى ... وَفِيـــهِ بـــابٌ طَعمُهمـــا العَســـجَدُ
أَنـــاخَ كُلُّ الغَيـــمِ مِـــن حَولهـــا ... يَرشُّـــها بَرقَـــاً ولا تُرعِـــدُ
يَفتَـــحُ فِينـــا البَيـــتُ أَيّامَـــهُ ... لِيُغلِـــقَ الأَوثـــانَ مَـــن يُولَـــدُ

ينابيع

مُحتَوياتُ العَدَد

كلمة العدد

وقفة تذكر

المشرف العـــام ٨

قرآنيات

الدلالة القرآنية بين خصوص السبب وعموم اللفظ

د. عادل عباس النصراوي ١٠

آية القوامة بين اللغة والمجتمع

د. عبد علي حسن الجاسمي ١٦

صفات الملائكة في القرآن الكريم

د. ابتســـام عبد الكريم المدني ٢٢

آمن الرسول

التوحيد بين الإسلام والفكر السلفي

محمد جعفر صادق القاضي ٢٨

تحقيق مصور

سراديب النجف

هاشم سعدون ٣٤

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٤٠

واحة الأدب

قصيدة: فمتى اللقاء سليل أحمد ؟

عادل الكاظمي ٥٠

الأدب النجفي وأثره في الحفاظ على اللغة العربية

د. عباس علي الفحام ٥٢

قصة: جراح فتية

بنت العـــراق ٥٨

الشاهد الشعري في الكتب الحديثية الأربعة

د. عبد الإله العرداوي ٦٢

إضاءات السيرة

الإمام الجواد عليه السلام ومحنة الشيعة في بدء إمامته

محمد جعفـــر الطباطبائـــي ٧٢

ص١٠٦

ص٧٢

ص٤٤

ص٥٢

الإمام الهادي عليه السلام وصراع الولاية
السيد علاء الموسوي ٧٦
مؤتمر الإنذار ودلالات الحدث
د. فاضل منجي شكر ٨٠

للفضيلة نجومها

الصحابي المغمور عثمان بن مظعون
خادم أهل البيت عليهم السلام ٩٠
السيد محمد هادي الخراساني الحائري
د. سلمان هادي آل طعمة ٩٦
الخطيب والشاعر السيد محمد رضا الخطيب
أحمد الكعبي الطويرجاوي ١٠٢

في النفس والمجتمع

معالم التربية الروحية في فكر الإمام الرضا عليه السلام
د. محمد كاظم الفتلاوي ١٠٦
قدوتك ابنة الإسلام
حسين علي الكعبي ١١٢

طروحات عامة

مدرسة الكوفة.. مهد الحضارة وينبوع الحكمة
محمد دعيبل ١١٤
حياة الإمام الكاظم عليه السلام في رؤى المستشرقين
د. حسين لفتة حافظ ١١٨
مناجاة المريدين للإمام زين العابدين عليه السلام
حسين جودي كاظم الجبوري ١٢٢

هكذا نكرم الأعلام
حيدر الجد ٤٤

حكاية مستبصر.. عبد المنعم حسن ٧٠
في الذاكرة ٨٤
وقفة مع الذكرى ٨٦
أجوبة مسابقة العدد (٤٩) وأسماء الفائزين ١٢٨
مسابقة العدد (٥١) ١٢٩

ص ٤٠

ص ٩٦

ص ١٠

ص ١٢٢

كلمة العدد

وقفة.. تذكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

نستقبل في هذه الأيام أشهراً عظيمة عند الله تعالى، أشهراً مختارة للعبادة، يبتغي فيها العبد رضوان الله بالتوبة والمغفرة، أشهراً هي عند الله سيدة الشهور وأيامها سيدة الأيام، ولياليها سيدة الليالي، أشهراً طالما ابتغاها المؤمنون، واستغلّ أيامها العابدون، وخاض حياضها المقربون، أشهراً جاءت في ألسنة النبي الأكرم وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين الغاية في التعظيم والتبجيل، وأكدت النصوص الشريفة على فضلها بالترغيب تارة، وتارة أخرى بالحث والترهيب في تضييعها، والاستهانة بها.

وحري بنا جميعاً أن نستعد لهذه النعمة التي أنعم الله بها علينا أن بلّغناها، وأن نشكره بالاستزادة من الطاعات والقربات مهما تسنح الفرصة لذلك، فإنها تمر مرّ السحاب، ولا تفوتنا ـ ونحن من دعانا الله تعالى إليه، وقربنا من ساحات رحمته ـ بالآمال والتضييع، ولا تعترينا وساوس الشيطان الرجيم، فإنما هو رصد لأعمالنا، وهي مرهونة باستغفاله ومحاربته.

وقد امتلأت الكتب الحديثية عن فضل شهر رجب وشعبان بما يبهر العقول، فضلاً، واستجابة للدعاء وفتح أبواب الجنان، وغلق أبواب النيران. كما تضمنت النصوص الشريفة التأكيد على الاستغفار في شهر رجب تأكيداً حثيثاً، والصلاة على محمد وآله في شهر شعبان.

وأرى من الأفضل لنا أن نستمع إلى ما جاءت به الروايات في فضل هذه الأشهر الشريفة، من كلام ساداتنا عليهم السلام، فإن كلامهم نور، وأمرهم رشد، ووصيتهم التقوى، وفعلهم الخير.

وحيث ذكرنا في طيات مجلتنا ما يخص شهر رجب الأصم، فلنذكر شهر شعبان المعظم.

فقد روى عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «رجب شهر الاستغفار لأمتي، أكثروا فيه الاستغفار فإنه غفور رحيم، وشعبان شهري، استكثروا في رجب من قول أستغفر الله، واسألوا الله الإقالة، والتوبة فيما مضى، والعصمة فيما بقي من آجالكم، وأكثروا في شعبان الصلاة على نبيكم وأهله، ورمضان

شـــهر الله تبارك وتعـــالى اســـتكثروا فيه من التهليل والتكبير».

وعـــن جعفر بن محمّـــد، عن أبيـــه، قال: كان عـــليّ بن أبي طالب عليه السلام يقـــول: «يعجبني أن يفرّغ الرّجل نفســـه أربع ليال، ليلة الفطر، وليلة الأضحـــى، وأوّل ليلة من رجب، وليلة النّصف من شعبان».

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «من زار الحسين عليه السلام ليلة النّصف من شـــعبان، وليلة الفطر، وليلة عرفة، في ســـنة واحدة كتب الله له ألف حجّة مبرورة، وألف عمرة متقبّلة، وقضيت له ألف حاجة من حوائج الدّنيا والآخرة».

وعـــن أبي عبد الله عليه السلام: «من صام أوّل يوم من شـــعبان وجبت له الجنّـــة البتّة، ومن صام يومين نظـــر الله إليه في كلّ يـــوم وليلة في دار الدّنيـــا، وداوم نظره إليـــه في الجنّة، ومن صام ثلاثـــة أيّام زاره الله في عرشـــه من جنّته في كلّ يوم».

و قال الصّادق عليه السلام: «صوم شـــهر شعبان وشهر رمضان شهرين متتابعين توبة والله من الله».

وعـــن جماعة عـــن أبي عبـــد الله عليه السلام قال: «من أحبّ أن يصافحـــه مائة ألف نبيّ وأربعة وعـــشرون ألف نبـــيّ فليزر قـــبر أبي عبد الله الحســـين بن عليّ عليهما السلام في النّصف من شعبان، فإنّ أرواح النّبيّين عليهم السلام تســـتأذن الله عزّ وجلّ في زيارته فيؤذن لهم، منهم خمســـة أولو العزم من الرّسل. قلنا: من هم؟ قال: نوح وإبراهيم وموســـى وعيســـى ومحمّد صلّى الله عليه وآله وعليهم أجمعين. قلنا له: ما معنى أولو العزم؟ قـــال: بعثـــوا إلى شرق الأرض وغربها، جنّها وإنسها».

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كان النّصف من شعبان نادى مناد من الأفق الأعلى: زائري الحسين ارجعوا مغفوراً لكم، ثوابكم على الله ربّكم، ومحمّد نبيّكم».

وروي أنّ أمير المؤمنـــين عليه السلام «كان لا ينام في السّـــنة ثلاث ليال، ليلة ثلاث وعشرين من شـــهر رمضان، ويقول: إنّها اللّيلة الّتي ترجى أن تكـــون ليلة القدر، وليلة الفطر، ويقول: في هذه اللّيلة يعطى الأجير أجره، وليلة النّصف من شـــعبان، ويقول: في هذه اللّيلة يفرق كلّ أمر حكيم، وهي ليلة يعظّمها المسلمون جميعاً وأهل الكتاب».

وهكذا إلى المئات مـــن الروايات الشريفة التي تُذكّر بهذه الأشـــهر التي هي فســـحة ما بـــين العبد وربه، ومجال لـــه في إعادة ما اعتراه من التعـــدي وتجاوز الحقوق فيما ســـلف من عمره، فـــإن المؤمن من يحيا قلبه بالموعظة، ولا تفوته الحكمة، بل هي ضالته أينما وجدها أخذ بها. خصوصاً ونحن اليوم في زمان المغريات، والانفتـــاح على العالم، وقـــد لاحت في الأفق ظواهر الفتن، وبدت علامـــات الاعوجاج، في الدين والخلق، نســـأل الله تعـــالى أن يوفقنا وإياكم لما فيه الصلاح، ويحسن أعمالنا، ويزكي أنفسنا إنه أرحم الراحمين وولي المؤمنين، وهو حسبنا ونعم الوكيل ■

المشرف العام

الدلالة القرآنية

بين خصوص السبب وعموم اللفظ

د. عادل عباس النصراوي ●
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

النص اللغوي يتألف من دوال متعدّدة تتحد مع بعضها لتوجيه الدلالة التي يبغيها مؤلّف، وإن الاعتماد على فهم بعض هذه الدوال دون الأخريات يؤدي إلى فهم بعض الدلالات وغياب الدلالات الأخرى، لذا فعلى المتلقي أن يجتهد في دراسة كل الدوال والوقوف عليها بعين الفاحص ليصل إلى العلة التي تكمن وراء هذا النص، بمنهج علميّ يعتمد على فهم اللغة لأنها ذات قدرة على التعميم والتجريد، مما يمكنها من مواكبة الواقع المتحرك وتحريك النص اللغوي بما يناسب حركته.

ينابيع

النصّ القرآني نصٌّ لغوي، لكنه من طراز خاص لأنه نصّ إلهي مبنيٌّ على أساس من المطلق، لذا فله القابلية على استيعاب حركة الواقع غير أنه قد تنزل آيةٌ أو مجموعة آيات في قضية معينة فيظن من لا دراية له أن هذه القضية ستحكم هذا النص وتقيد دلالته ضمن حدود القضية.

نعم إنّ الدلالة المقيّدة للنص بسبب من أمر نزولها تبقى دلالة مضيئة غير أن دلالات أوسع منها يتضمنها النصّ بسبب ما أنتجه السياق الذي ورد فيه، وتفاعل دلالات الألفاظ مع بعضها التي ولّدت الدلالة الكبرى، وغيرها من الدوال المنتجة للدلالات بعمومها، فيفتح النص القرآني في دلالته بين ما أقره خصوص السبب (سبب النزول) ودلالة الألفاظ والسياق في عموم الدلالة له، فعليه

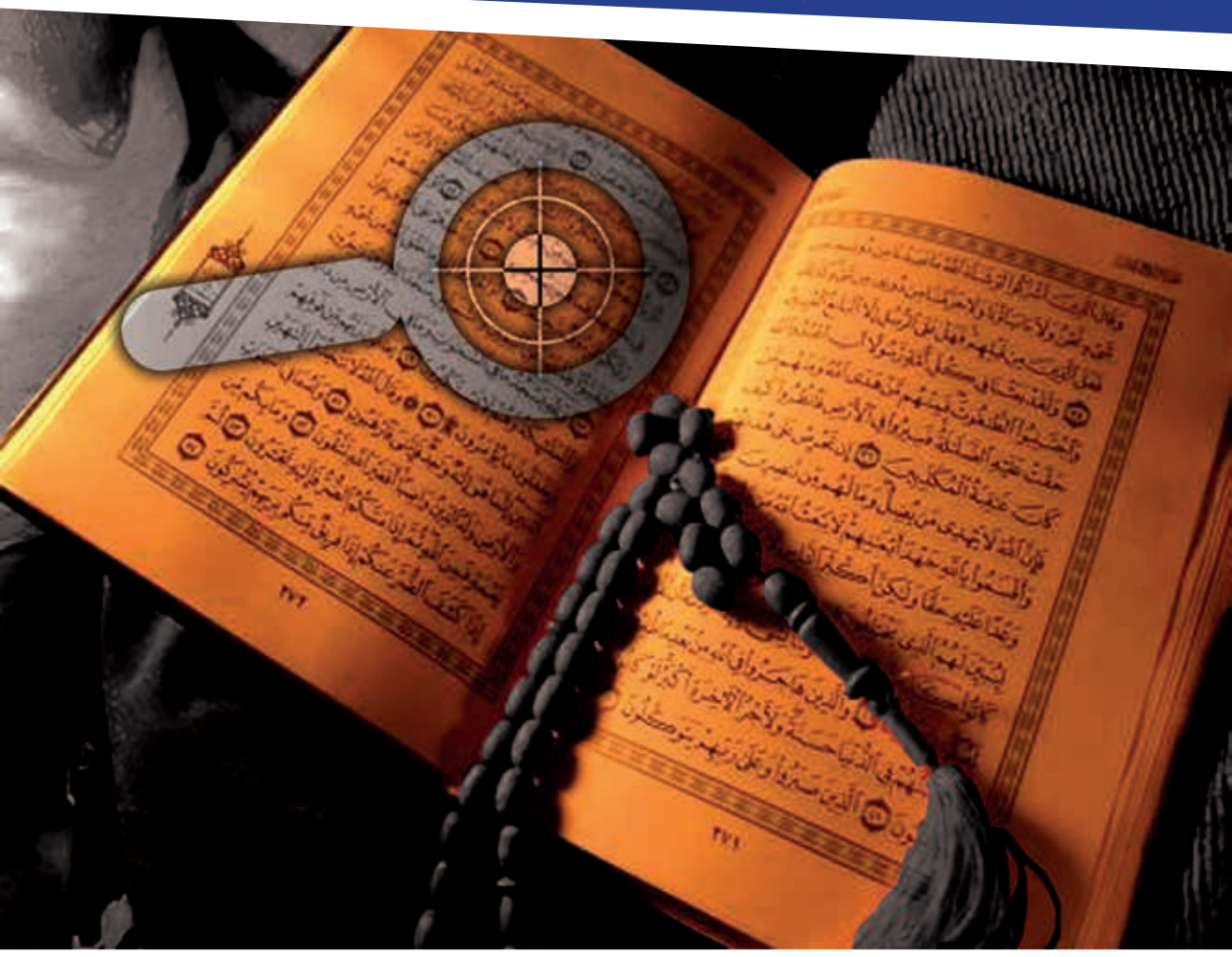

سيكون سباق الدلالة في المساحة الواقعة بين خصوص السبب وعموم اللفظ.

ففي قوله تعالى: (**وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاء سَبِيلاً**) (النساء: ٢٢) قد اختلف العلماء في حكم هذه الآية المباركة والمعنى الدال عليه النص، بين أن يكون النهي عن منكوحات الأب أو النهي عن طبيعة نكاح الآباء بشكل عام، فذهب ابن عباس وقتادة وعطاء وغيرهم إلى أن التحريم المشار إليه ما كان يفعله أهل الجاهلية من نكاح امرأة الأب، كانوا يسمّونه (نكاح المقت)، وكان المولود عليه يقال له المقتي[1] وعليه فإن ما في قوله سبحانه: (**وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم**) موصولة، بمعنى منكوحات الآباء من النساء، ويعزز هذا الرأي سبب نزولها، وذلك أنه لمّا مات أبو قيس بن الأسلت، وكان من صالحي الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت: إني أعدّك ولداً وأنت من صالحي قومك، ولكني آتي رسول الله ﷺ فأستأمره، فأتته فأخبرته،

فقال رسول الله ﷺ: ارجعي إلى بيتك، فأنزل هذا الآية[٢].

أمّا من ذهب إلى النهي عن طبيعة نكاح الآباء بشكل عام، فإنه عدّ (ما) مصدرية والتقدير: ولا تنكحوا نكاح آبائكم، أي مثل نكاح آبائكم، وعليه فسيكون كل نكاح لهم قبل الإسلام فاسداً، وهو اختيار الطبري، وعلل هذا بأنه لو أراد حلائل الآباء لقال: لا تنكحوا مَنْ نكح آباؤكم، على أصل أن (مَنْ) تفيد الجنس[٣].

فاختلاف العلماء هنا كائن في المساحة الواقعة بين خصوص المعنى المتمثل بسبب النزول المفضي إلى تحريم نكاح زوجة الأب، وبين عموم المعنى المتمثل بعموم اللفظ المؤلّف للنص والسياق العام الذي يفضي إلى تحريم مجمل الأنكحة قبل نزول الآية.

لكنّا لا يمكن أن نتمسك بعموم اللفظ ونهدر خصوص السبب، أو أن نتمسك بخصوص السبب ونهدر عموم اللفظ، وذلك أنّ النص هو نتاج الواقع الذي ولد فيه، فلا يمكن تجاهله أبداً وحصر الدلالة بجزئيات المعنى المتمثلة بخصوص السبب، وعند ذلك لا فائدة من مجمل دلالات الألفاظ، ونستطيع أن نقول أنّ هناك هدراً كبيراً في دلالات الألفاظ المستعملة في النص لسبب من الاقتصار على دلالة سبب النزول، وهذا مما قد يذهب بالبعض إلى القول أن النص القرآني قد استعمل ألفاظاً ذات دلالات كبيرة لمعانٍ قليلة، وهذا شرخ في إعجاز القرآن، فضلاً عن القول بعدم قدرة لغة القرآن على استيعاب الجزئيات بألفاظ مناسبة لها، وهذا خلاف الواقع.

كذلك لا يمكن تجاوز الدلالات في عموم اللفظ المؤلّف للنص، وذلك أن النص القرآني نصٌّ متسع ذو دلالات كبرى لا يمكن تحديدها بالجزئيات، بل إنّ الجزئيات المعلنة من سبب النزول قد تكون جزءاً من أجزاء الدلالة التي يتوخّاها القرآن الكريم فضمنها فيه، إذ إن في النص القرآني دوالاً ونظُماً دلالية ثانوية داخل النظام العام للنص، فمن هذه الدوال تتجاوز إطار الوقائع الجزئية، ونجد دوال أخرى تشير إلى الوقائع الجزئية ولا تتجاوزها وهناك دوال خاصة وأخرى عامة، فهذه الدوال تمكن العصور المختلفة من قراءة النصوص واكتشاف دلالات مغايرة فيها[٤] أو جديدة، فكل هذه الدوال تتفاعل مع بعضها داخل الألفاظ، فعندما تتهيأ الظروف المناسبة لانطلاقها من نحو البيئة الثقافية والقيم الاجتماعية والظروف السياسية وغيرها فإنها ستنطلق من جديد لتظهر أكثر بريقاً وأبعد مدى وأعمق غوراً (من هنا يكون الوقوف عند أحد جانبي الدلالة في النص خطراً على مستوى النصوص الدلالية من حيث إنه يؤدي إلى تعارضات داخل النص لا يمكن حلّها، وهي تعارضات ناشئة عن إهدار «الخصوص» لحساب «العموم»)[٥]، بل ينبغي وضع الحدود لمقدار تمدّد الخصوص ضمن إطار العموم الشامل، لتحدد العموم على حدود الخصوص.

لذا فإن دلالة (وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء) لا يمكن قصرها على النهي عن زواج الابن لزوجة الأب، بل هذه جزئية من مجمل الدلالة الكلية في النص، لأن النهي مطلق عن الأنكحة في الجاهلية لأن أغلبها كان غير خاضع لنظام يحافظ على طهارة المولد والنسب

والحقوق بين الأزواج والأبناء.

أقول أغلبها لأن هناك نكاحاً في الجاهلية قد أقرّه الإسلام وعمل به بعد أن هذّبه وهو ما كان مألوفاً عند أغلب الناس وهو نكاح البعولة[٦] المبني على أساس الرضا والقبول من الطرفين وتحديد الصداق والإعلان على رؤوس الناس من خلال الخطبة، من نحو زواج رسول اللهﷺ من خديجة بنت خويلدرضي الله عنها قبل الإسلام فهو شاهد على ذلك[٧]، لذا فإن قوله سبحانه: (إلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ) يعني إلاّ النكاح المبني على الصحة وهو زواج البعولة فإنه مستثنى من النهي لأنه زواج ليس بفاسد.

ومما يؤيد ذلك أن هذه الجملة القرآنية قد جاءت في موضع المعترض للسياق العام للآية المخاطب قطع السياق العام بها المفضي إلى التحريم، وهذا من أساليب القرآن الكريم البليغة لأنه أراد أن ينبّه على حالة طيبة قائمة قبالة حالة فاسدة لا خير فيها، ويؤنّب عليها بذكر الطيّبة.

وهناك أمر آخر هو أنّ هذا النكاح لم يكن قريب العهد من الإسلام بل كان قديماً ، ثم لو كان هذا الذي وقع فيما سلف من صنف نكاح الآباء المذكورين لاقترن بهم، بيد أنه جاء على سبيل الإطلاق بالزمن الماضي الذي عبّر عنه بالزمن السالف أي المتقدم على زمان الجاهلية، لأن عصر النبوة كان ملاصقاً له، وإن كثيراً من عادات الجاهلية وقيمها ما زالت عاملة في صدر الإسلام.

وقد يقال إن استعمال (قد) يعمل على تقريب زمن الماضي إلى الحال فتكون دلالة زمن (قَدْ سَلَفَ) هو الزمن الماضي القريب من الحال، من نحو قولنا: قد قامت الصلاة، نداء لمنتظري الصلاة في أن وقتها قد حل، أو كقولهم: قد ركب الأمير، لمن ينتظر ركوبه، وفي التنزيل: (**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ**...) (المجادلة: ١) ، لأنها تتوقع إجابة الله سبحانه لدعائها[٨] ، وهذا الأمر واقع لأن قرينة الحالية نستمدها من السياق الدال عليها، إذ نتلمس حالة الانتظار لوقوع فعل، فعندما وقع أخبر عنه بعد وقوعه مباشرة، وأما مجيء الفعل ماضياً إنما كان لإكساب الحدث صفة اليقين، لكنّ في قوله: (**إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ**) لا نتلمس فيه حالة الانتظار لوقوع الحدث حتى نترقّبه فيُخبر عنه بعد وقوعه مباشرة، بل إنّ حدث الزواج الصحيح واقع أصلاً عند أغلب العرب ومعروف لديهم، فعبر عن زمن وقوعه بأنه قد سلف، أي المتقدم فيهم.

ولأجل تأكيد التقدم بالزمن استعمل (قد)، أي إنها دخلت لتوكيد السلفية لا

باعتبار القرب من الحال، وهذا مما يبعد كون (ما) في قوله: (**مَا نَكَحَ**) تدل على الموصولية بل على المصدرية.

فضلاً عن ذلك أنّ الاستثناء هنا جاء متصلاً لأن المستثنى بعضٌ من المستثنى منه كقولنا: جاء الطلاب إلاّ خالداً، فخالدٌ مستثنى متّصل لأنه بعض الطلاب.

ونكاح البعولة واحدٌ من أنكحة العرب، غير أنه استثني من هذه الأنكحة لصحته وعدم فساده، ولو قلنا إنه استثناءٌ منقطع لتحتم علينا القول إن نكاح البعولة ليس جزءاً من أنكحة العرب، وهذا خلاف المعلوم، لأن الاستثناء المنقطع هو ما كان فيه المستثنى ليس بعضاً من المستثنى منه، كقوله تعالى: (**فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ**) (الحجر: ٣٠، ٣١) ، فإبليس ليس من الملائكة، بل هو من الجن[٩] فدلّ بذلك أن (ما) مصدرية أيضاً وليست موصولة.

وأما من قال إن (إلاّ) جاء بمعنى سوى[١٠]، فهذا لا يصحّ لكون (سوى) ظرف بمعنى (مكان) فإذا قلت جاء القوم سواك كان المعنى جاء القوم مكانك وبدلك[١١] وهذا المعنى لا يحتمل في الآية، لكنها من الممكن أن تحمل معنى المغايرة وزيادة، أي مغايرة المستثنى عن المستثنى منه بمعنى (غير)، وهذا حاصل، إذ إن نكاح البعولة مغاير لباقي الأنكحة، فتكون (إلاّ) قد حملت معنى استثناء هذا النكاح من أنكحة العرب ومغايرته صفاتها، فضلاً عن أصل مغايرة (إلاّ) المبنية على نفي أنكحة العرب وإثبات نكاح البعولة.

فهنا يكون القرآن الكريم قد أضفى دلالة أخرى على (إلا) من خلال السياق الحاكم للنص في مغايرة الوصفية فضلاً عن دلالة الأصل لها فأكّد بذلك أنّ (ما) مصدرية.

ثم قال تعالى: (**إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاء سَبِيلاً**).

فبعد أن أوضحنا أن قوله سبحانه (**إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ**) جاء معترضاً للسياق العام، فيكون التقدير: ولا تنكحوا نكاح آبائكم إنه كان فاحشة ...، ولو كانت (ما) بمعنى منكوحات لاختلف المعنى، إذ يكون التقدير ولا تنكحوا منكوحات آبائكم إن نكاحهنّ كان فاحشة، وفي هذا زيادة في تقدير المحذوف وتحميل للنص ما لا يتسيغه، فضلاً عن تضييق المعنى، والقرآن الكريم مبنيٌّ على الاتساع في الدلالة.

وأما قوله (**كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاء سَبِيلاً**)، فقد اختلف العلماء في (كان)، (فقال محمد بن يزيد المبرّد: يجوز أن تكون زائدة، ويكون المعنى إنه فاحشة ومقت، وأنشد في ذلك قول الشاعر:

فكيف إذا حللت بدار قومٍ وجيرانٍ لنا كانوا كرام

وخطّأه، الزجاج في ذلك وقال: لو كانت زائدة في الآية لم يُنصب خبرها، والدليل على ذلك هذا البيت الذي أنشده فإن (كان) لما كانت زائدة لم تعمل فقال: وجيرانٍ كانوا لنا كرام، ولم يَقُل كرامًا)[١٢].

والحال أن (كان) لها دلالة كبيرة في الآية لأنها تمثل استغراق الزمن الماضي في وصف الأنكحة المحرّمة بالفاحشة والمقت، لأن (كان) فعلٌ خالٍ من الحدث ودال على المعنى من الزمان، فكأن هذا الفعل يريد أن يستشير إلى أن هذه الأنكحة المحرّمة موصوفة بالفحش

والمقت من القدَم، فجعل تقادم العهد وصفاً لها للدلَالة على شدة إنكارها وتحريمها، وجعل قبالتها ما استثني من الأنكحة المتمثل بنكاح البعولة الصحيح، فوصفه بكونه فيما سلف، ليتوازى قِدم العهد لإنكار الأنكحة المحرّمة مع ما استثني منها فيما قد سلف.

لذا فإن دلالة خصوص السبب المتمثل بسبب النزول لهذه الآية لم يضمحل في خضم عموم دلالة الألفاظ المؤلِّفة لنص الآية المبني على الاتساع. بل أصبح جزءاً مهماً في ضمن الدلالة العامة للآية المباركة، فالنص القرآني، المؤَلَّف من مجموع الدوال المفضية إلى دلالتها لم تهمل أيّ شيء من دلالات أسباب النزول فضلاً عن الدلالات الأخرى التي يتوخّاها واضع النصّ المبارك سبحانه ■

(١) ظ: التبيان الطوسي: ١٤٥/٣ الكشاف/ الزمخشري: ١/ ٥٢٤.
(٢) ظ: مجمع البيان/ الطبرسي: م٢/ ٢٦- ٢٧ لباب النقول في أسباب النزول/ السيوطي:٥٥.
(٣) ظ:التبيان / الطوسي:١٥٤/٣.
(٤) ظ: مفهوم النص/ د. نصر حامد أبو زيد: ١٠٦.
(٥) م. ن:١٠٧.
(٦) ظ: المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام/ د. جواد علي: ٥/ ٥٣٣.
(٧) ظ: نهاية الأرب/ النويري: ١٦/ ٩٧- ٩٨.
(٨) ظ: المغني/ ابن هشام: ٣٤٧/١.
(٩) ظ: معاني النحو/ د. فاضل السامرائي: ٢١٣/٢.
(١٠) ظ: حقائق التأويل/ الشريف الرضي: ٣١٨.
(١١) ظ: معاني النحو/ د. فاضل السامرائي: ٢٣٠/٢.
(١٢) حقائق التأويل الشريف الرضي: ٣٢٠.

نوادر وعبر..

علامَ الهم

رأى إبراهيم بن الأدهم رجلاً مهموماً، فقال له:

أيها الرجل: أيجري في هذا الكون شيء لا يريده الله؟

قال: لا.

قال: أينقص من رزقك شيء قدّرهُ الله؟

قال: لا.

قال: أينقص من أجلك لحظة كتبها الله في عمرك؟

قال: لا.

قال إبراهيم: فعلام الهم إذن؟!

آية القوامة

بين اللغة والمجتمع

أ. م. د. عبد علي حسن الجاسمي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

قال تبارك وتعالى:

(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ)

(النساء:٣٤)

ينابيع

لقد تنوعت مصادر التفسير في تأويل قوله تعالى بشأن قوامة الرجال على النساء وصورة هذه القوامة عندهم. ويكاد المفسرون القدماء يجمعون على أن مفهوم القوامة ينصرف إلى الأفضلية مطلقًا، أي أفضلية الرجال على النساء بشكل عام، وأغلب من يذهب إلى هذا الإطلاق هم مفسرو السلفية ومن تبعهم من الذين يحصرون المفاهيم القرآنية في نطاق ضيق يحده ظاهر اللفظ فضلًا عن تطويعهم النصوص وتفسيراتها انسجامًا مع نمط معين يتناسب مع طبيعة نظرتهم للأشياء بناء على ثقافتهم السائدة أو أعرافهم التي لم يتمكنوا من مخالفتها بسبب من التراكمات الاجتماعية التي بقيت متجذرة في سلوكهم ولم يفارقوها انصياعًا لما تمليه عليهم هذه التراكمات. بل قد يتعسف كثير منهم في الإصرار على ما يذهبون إليه من تفسير أو تأويل دفعًا لاستنطاق النص القرآني الذي يبقى نصًا كونيًا شاملًا صالحًا للاقتداء به حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ناهيك

عــن مواءمته لما يطرأ على الإنســانية من مفاهيم لــم تكن مألوفــة أو موجودة في زمن التشريع أو وقت النزول وما تلاه من قرون.

إن الذي يراد من هذه الأســطر قراءة أخرى لمفهــوم (القوامة) الــذي أعطاها اللّه تبــارك وتعالى للرجال على النســاء، ذلك المفهوم الــذي يفهمه أغلب الرجال أنها ســلطة الرجل على المرأة أو أنها أمر للمــرأة أن تطيع زوجهــا مطلقًا بل هناك إصــرار علــى أن القوامــة هي التســلط والتحكــم مــن دون النظر إلى ما شــرعه اللّه تعالى في تنظيم العلاقة الأسرية التي تــؤدي إلى بناء مجتمــع مرتبط بتعليمات الســماء غير مجاف للمنهج الإسلامي في بناء المجتمعات.

لقد أجمع أرباب التفســير ـ تصريحًا أو تلميحًــا ـــ علــى أن الفيصــل في فهم النص القرآنــي هو الرجوع إلــى المعنى اللغــوي أولًا، وهذا لا يعني الإعراض عن المناهــج الأخــرى التي فُسِّــر بها النص المقــدس بل هي كلها تســهم فــي إخراج

ما يُستطاع إخراجه من المفردات التي ينتظمها النص القرآني أو من تراكيبه أو أساليبه. والتفسير اللغوي هو (أول منهج ظهر واتسع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله... وكان الإمام علي عليه السلام وعبد الله بن مسعود (ت٣٢هـ) ثم عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ) أكثر الصحابة نشاطًا في هذا المجال)[١]، ولا يغيب عن بال المتابع لهذا الشأن أن أول تفسير وصل إلينا كان تفسيرًا لغويًا، ورائده عبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ) تلميذ أمير المؤمنين عليه السلام وهو ما يُعرف بـ (مسائل نافع بن الأزرق). قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): (إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنّة بسبب، حتى لا غناء بأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله صلى الله عليه وآله عربي. فمن أراد معرفة ما في كتاب الله جلّ وعز، وما في سُنة رسول الله صلى الله عليه وآله من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بُدًّا)[٢]. وقال الشاطبي (ت٧٩٠هـ): (لا بد في فهم الشريعة من اتّباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عُرفٌ مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثمَّ عُرفٌ فلا يصح أن يُجرى في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جار في المعاني والألفاظ والأساليب)[٣].

إن هذا البحث لا يقصد الإتيان بتفسير لم يسبق إليه سابق مما يترتب عليه إلغاء التفسير السابق فإن هذا لا يُعد من العلم، وإنما هو مراجعة ما بناه الأقدمون من دون مناسبة لذلك، والقصد هو مواكبة التفسير لحاجات العصر وإصلاحها بحيث لا يغدو التفسير حبيس الأوراق والكتب وإنما ينطلق لإصلاح واقع المجتمع وتلبية حاجاته الدينية والنفسية، وأول خطوات ذلك ـ فيما أحسب ـ النظر في القرآن الكريم واكتشاف المعاني الجديدة للمفردات وحسم ما كان الخلاف فيه باديًا بين المفسرين بدءًا باختيارات معاني المفردات إلى ما بعده.

جاء في لسان العرب: (القيام بمعنى المحافظة والإصلاح؛ ومنه قوله تعالى: (**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ**). والقَيِّمُ: السيّد وسائسُ الأمر. وقَيِّمُ القَوْم: الذي يُقَوِّمُهم ويَسُوس أمرهم. وقَيِّمُ المرأة: زوجها لأنه يَقُوم بأمرها وما تحتاج إليه. وقام بأمر كذا. وقام الرجل على المرأة: مانَها. وإنه لَقَوّام عليها: مائنٌ لها. وفي التنزيل العزيز: (**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ**) وليس يراد ههنا، والله أعلم، القيام الذي هو المُثُول والتَّنَصُّب وضدّ القُعود، إنما هو من قولهم قمت بأمرك، فكأنه، والله أعلم، الرجال مُتكفِّلون بأُمور النساء مَعْنِيُّون بشؤونهن، وسموا بذلك لأنهم قوّامون على النساء بالأُمور التي ليس للنساء أن يقمن بها، والقوّام والقيم بمعنى واحد)[٤].

إن الفرضية التي يقوم عليها هذا البحث هي أن الأفضلية التي كلف الله تبارك وتعالى الرجال واختصهم بها من خلال مسؤوليتهم على النساء ليست امتيازًا، وإذا لم يكن الرجل أهلا لها فإنها تنتقل مباشرة إلى المرأة بدليل قوله تعالى: (**بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**)، ولم يقل (بعضهم على بعضهن). وأن الرجال ليس أفضل من النساء، والقوامة كما مر لغة: من القيام بالأمر والمسؤولية عن إنجازه.

إن الرجال مكلفون بالقيام

بمسؤوليات أسرية معينة وهذه المسؤولية في الآية الكريمة هي النفقة المادية كما وضحت الآية ذلك: (**وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ**)،وربما استدل أحدهم بأفضلية الرجل من قوله تعالى (**بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**)، لكننا ننسى أن التفضيل في اللغة لاً يعني المكانة الأعلى أو الميزة وإنما يعني الزيادة كما قال تعالى: (**وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ**)(النحل:٧١)، أي زادهم رزقًا ولا يعني زادهم مكانة. وكما نعلم أن كلمة (أسوأ) هي اسم تفضيل، والتفضيل لا يعني المزية وإنما الزيادة، ولو فهمنا التفضيل في الآية من سياقها لوجدنا أنها تعني (بما زاد الرجال على النساء من قدرة نفسية وجسدية على كسب المال لينفقوا منه وليس كما يفهمه بعض الناس من معنى تمييزي لا يمت إلى الآية بصلة. فالقوامة بحسب الآية لا تعني أبدًا التسلط أو الفوقية بل تعني واجب الرجل في القيام بالنفقة المادية على النساء وهذا واجب عليه وليس حقًا له. وهنا يجب التنبه إلى أن تفضيل الرجال على النساء المذكور في الآية الكريمة المراد منه تفضيل جنس الرجال على جنس النساء، وليس المراد منه تفضيل جميع أفراد الرجال على جميع أفراد النساء، وإلا فكم من امرأة تفضل زوجها في العلم والدين والعمل والرأي.

إن الرجال مكلفون برعاية النساء وحمايتهن و(خدمتهن) وكل ما تفرض القوامة من تكليفات. ومعنى : (بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) ، ليس تفضيلًا من الله تبارك وتعالى للرجل على المرأة، ولو أراد هذا لقال : بما فضل الله الرجال على النساء،ولكنه قال : (بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) فأتى ببعض مبهمة هنا وهناك، وذلك معناه: أن القوامة تحتاج إلى جهد ومشقة، وحركة وكدح من ناحية الرجال ، ليأتي بما يوفر لأسرته عيشًا كريمًا، وفي مقابل ذلك ، جعل للمرأة مهمة، لا يقدر عليها الرجال، فهي مفضلة عليه فيها، فالرجل لا يحمل ولا يلد ولا يحيض، ولذلك قال تعالى في آية أخرى: (**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**) (النساء:٣٢) ، والخطاب هنا للمكلفين جميعهم واستعمل (بعض) هنا، ليكون البعض مفضلًا من جهة، ومفضولًا عليه من جهة أخرى، ولا يمكن أن نقيم مقارنة بين فردين لكل منهما مهمة تختلف عن الآخر .لكن إذا نظرنا إلى كل من المهمتين معا، سنجد أنهما متكاملتان . فللرجل فضل القوامة بالسعي والكدح والإنفاق، أما الحنان والرعاية والعطف فهي ناحية قليلة جدًا عند الرجل بإزاء المرأة؛ لانشغاله بمتطلبات القوامة، لذلك فإن الله عز وجل يحفظ المرأة لتقوم بمهمتها، ولا يحملها قوامة بتكليفا تها تلك ،

لتفرغ وقتها للعمل الشاق الآخر الذي خلقت له. (وكان الاشتغال بهذه الشؤون و الاعتكاف على إحياء العواطف الطاهرة المودعة في وجودهن يشغلهن عن الورود في مجامع الرجال، و اختلاطهن بهم في حدود ما أباح الله لهن، ويشهد بذلك بقاء هذه السنة بين المسلمين على ساقها قرونًا كثيرة بعد ذلك حتى نفذ فيهن الاسترسال الغربي المسمى بحرية النساء في المجتمع فجرت إليهن و إليهم هلاك الأخلاق، و فساد الحياة و هم لا يشعرون.)[٥].

إن تفضيل الرجل على المرأة لا يغض من كرامتها، ولا ينال من مكانتها، فهي لها مجالها ووظيفتها التي لا يستطيع الرجال القيام بها، وهي - وإن كانت أضعف من الرجل بنية في تحمل مسؤولية القوامة وأعبائها - إلا أنها أكثر منه صبراً وجلداً وسهراً على تربية الأولاد، والعناية بمصالح البيت التي لو وكلت إلى الرجل لضاق بها ذرعاً، ولتذمر منها وعجز عنها، كما أن القوامة ليست استعباداً للمرأة، ولا تسلطاً عليها من قبل الرجل، بل هي قوامة تصان فيها كرامتها، وتنال بها حقوقها كاملة، فالله جل وعلا يقول: (**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**)(البقرة: ٢٢٨). فقوامة الرجل على المرأة في الإسلام قوامة رعاية وإدارة وحفظ لا قوامة تسلط وتجبر واستعباد. ولكن الرجل بطبيعته الذكورية يحاول فرض هيمنته على محيطه فلا يجد سوى الحلقة الأضعف وهي المرأة فيستعرض كل بطولاته عليها ولجهله لا يردعه ضمير ولا عاطفة ولا دين ولا قانون.

والقوامة هي القيادة أي قيادة المجتمع الصغير (الأسرة) التي يتشرف بها الرجل من دون تسلط أو تعسف، وهي كذلك تكليف لصالح المرأة والبيت والأسرة، حيث تكون مسؤولية النفقة فيها وطلب الرزق والحماية والرعاية واجبة على الرجل، وله بذلك حق الطاعة المطلوبة للقائد، وهي الطاعة بالمعروف، وليست الطاعة المطلقة. (وقد خلق الله الناس ذكرًا وأنثى، . زوجين على أساس القاعدة الكلية في بناء هذا الكون ،وجعل من وظائف المرأة أن تحمل وتضع وترضع وتكفل ثمرة الاتصال بينها وبين الرجل، وهي وظائف ضخمة أولًا وخطيرة ثانيًا، وليست هينة ولا يسيرة، بحيث تؤدى بدون إعداد عضوي ونفسي وعقلي عميق غائر في كيان الأنثى ! فكان عدلًا كذلك أن ينوط بالشطر الثاني - الرجل - توفير الحاجات الضرورية، وتوفير الحماية كذلك للأنثى؛ كي تتفرغ لوظيفتها الخطيرة، ولا يحمل عليها أن تحمل وتضع وترضع وتكفل، ثم تعمل وتكد وتسهر لحماية نفسها وطفلها في آن واحد ! وكان عدلًا كذلك أن يمنح الرجل من الخصائص في تكوينه العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينه على أداء وظائفه هذه، وأن تمنح المرأة في تكوينها العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينها على أداء وظيفتها تلك)[٦] وإن وصف الرجل بأنه أعقل من المرأة وأكثر قدرة على إدارة شؤون الأسرة، إنما هو على سبيل الإجمال، وإلا فكم من امرأة هي أكثر قدرة أقدر وأوفر عقلاً وأحسن تدبيراً وأشد ذكاء، ولكن أحكام الشرع مبنية على الغالب. (ومختلف ما قرره الإسلام في حقهن أنهن على احتجابهن و اختصاصهن بالأمور المنزلية من شئون الحياة غالبًا

لم يكن ممنوعات من المراودة إلى ولي الأمر، و السعي في حل ما ربما كان يشكل عليهن)[٧]. إن الاستطراد في هذا الموضوع وتتبع الأدلة التي تفوق الحصر، سواء كانت نقلية أو عقلية؛ قد يُخرجه من حيزه المحدود ضمن إطار معين لنشره، ولكن لا بد من طرحه ولو على سبيل المقاربة، وإلا فهو موضوع اجتماعي شائك يوجب علينا جميعًا أن نراجع مواقفنا إزاء المرأة التي وقع ويقع عليها حيف كبير من جراء فهمنا المجتمعي البعيد عن التكليف الذي خصنا به الله تبارك وتعالى لخدمة المرأة وما ولدت بما شرع الله وبما ترك لنا سادتنا المعصومون (صلوات الله عليهم أجمعين) من تراث مشرق في السلوك الإنساني الذي ينظم الخلية الأولى في مجتمعنا الإسلامي، هذا الكيان المقدس الذي أمرنا الله تعالى بالمحافظة عليه وخدمته والسهر على راحته وجعله في مقدمة اهتماماتنا ■

(١) في التفسير اللغوي. د. زهير غازي زاهد:٥٤.
(٢) الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: أحمد صقر: ٥٠.
(٣) الموافقات، للشاطبي، تحقيق محيي الدين عبد الحميد:٢/٥٦.
(٤) لسان العرب: (ق و م).
(٥) الميزان للعلامة الطباطبائي:٤/٣٥٩.
(٦) في ظلال القرآن، سيد قطب:٥ /٦٥٠.
(٧) الميزان، للعلامة الطباطبائي:٤ / ٣٥٩.

من تكره مجالسته

كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا صعد المنبر قال: ينبغي للمسلم أن يتجنب مواخاة ثلاثة:

الماجن الفاجر، والأحمق، والكذاب.

فأما الماجن الفاجر فيزين لك فعله ويحب أنك مثله ولا يعينك على أمر دينك ومعادك ومقاربته جفاء وقسوة ومدخله ومخرجه عار عليك.

وأما الأحمق فإنه لا يشير عليك بخير ولا يرجى لصرف السوء عنك ولو أجهد نفسه. وربما أراد منفعتك فضرك فموته خير من حياته وسكوته خير من نطقه وبعده خير من قربه.

وأما الكذاب فإنه لا يهنئك معه عيش، ينقل حديثك وينقل إليك الحديث كلما أفنى أحدوثة مطرها بأخرى مثلها حتى إنه يحدث بالصدق فما يصدق ويفرق بين الناس بالعداوة فينبت السخائم في الصدور.

فاتقوا الله عز وجل وانظروا لأنفسكم.

أصول الكافي للكليني

صفات الملائكة

في القرآن الكريم

أ. م. د. ابتسام عبد الكريم المدني •
عميد كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

ينابيع

عرض القرآن الكريم صفات واضحة للملائكة، إذ منها صفات ذاتيّة، ومنها صفات وظيفيّة.

الصفات الذاتية:

قال تعالى: (**جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ**) (فاطر: من الآية١) فالملائكة رسل بين الله سبحانه وأنبيائه والصالحين من عباده، يبلّغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤية الصادقة، أو بينه وبين خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه. أولي أجنحة ...متفاوتة بتفاوت مالهم من مراتب، ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها نحو ما وكلّهم الله عليه)[1] وسواء أكان الوصف هذا مجازياً أم حقيقيّا ًفقد اتفق العلماء على أنّهم ذوات موجودة قائمة بأنفسها، وأنّها جواهر مجرّدة. وقيل إنّها منقسمة على قسمين: قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحقّ، والتنزّه عن الاشتغال بغيره، وكما وصفوا: (**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ**) (الأنبياء: ٢٠) وقسم يدبّر الأمر من السّماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الإلهي، وهم (**لا يَعْصُونَ اللَّه مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**) (التحريم: من الآية٦) وهم[2] (**الْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً**) (النازعات: ٥). والملائكة مبرّأة من الشّهوات والغضب والأخلاق الذميمة، وقوله تعالى: (**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً**) (النازعات:١) إشارة إلى كونها منزوعة الأهواء نزعاً مستغرقاً كلياً وفي جميع الوجوه، أمّا في وظائفها فقد وصفها الله سبحانه بقوله: (**وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً**) (النازعات: ٢) إذ هي لا تقوم إليها قيام أصحاب الأهواء، في كلفة ومشقّة، بل في نشاط تام، وقد وصفهم الله سبحانه بقوله: (**والسَّابِحَاتِ سَبْحاً**) (النازعات: ٣) فهم يسبحون سبحاً في نور الله وبحار

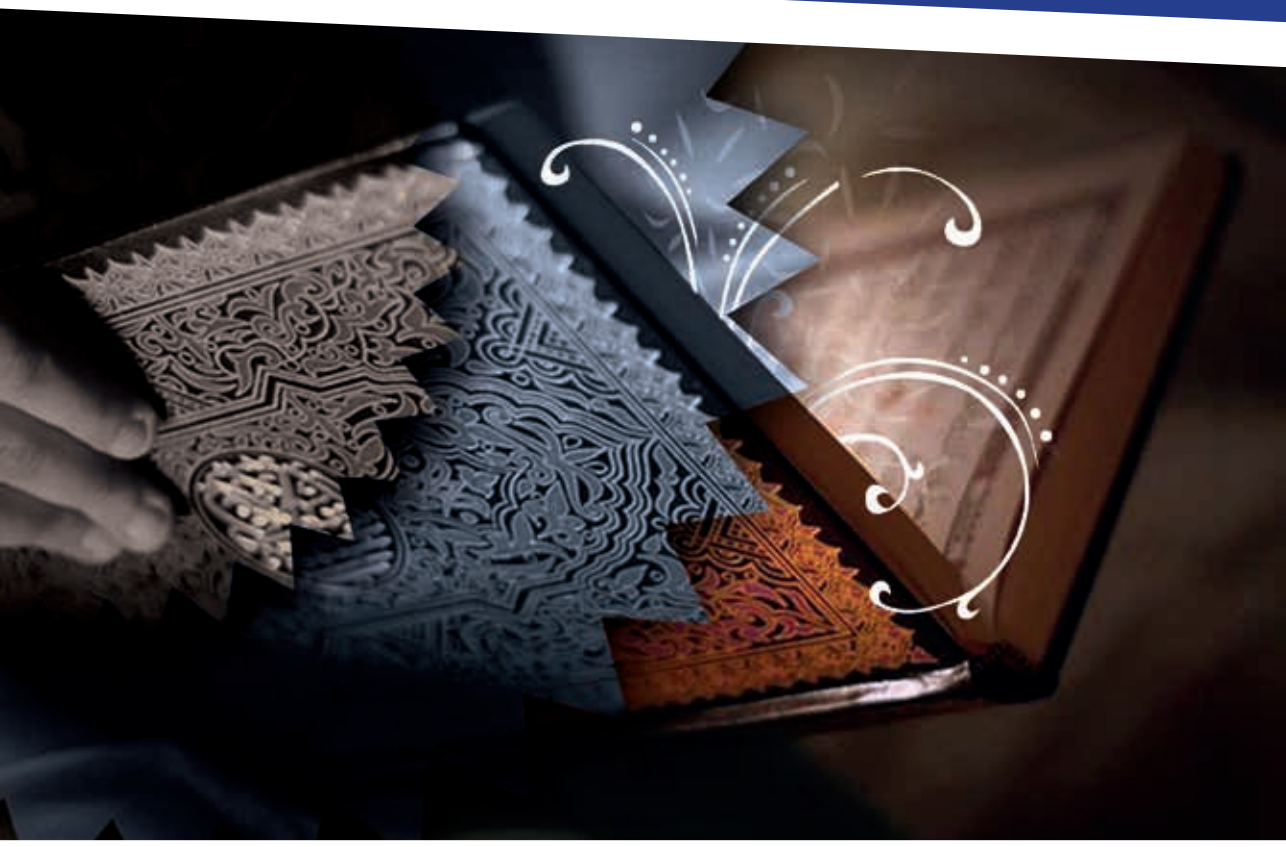

جلال معرفته وتسبيحهم لا انقطاع له. وهم (**السَّابِقَات سَبْقاً**) (النازعات: ٤) أي متفاوتو المراتب في درجات المعرفة[٣] وهم (**لا يَسْتَحْسِرُونَ**) (الأنبياء: من الآية١٩) إذ لا يعيون من التسبيح، وجيء بالاستحسار بياناً بأنّ عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة يُستحسر منها، ولكنّهم لا يستحسرون، بل لا يفترون في حال من الأحوال[٤] وهم (**لا يَسْأَمُونَ**) (فصلت: من الآية٣٨) و(**لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**) (التحريم: من الآية٦) فيما مضى وفيما يستقبل، ولا يتمنّعون عن قبول الأمر والتزامه[٥] وهم (**لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ**) (الأنبياء: من الآية٢٧)أبداً[٦] و(**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**) (النحل: ٥٠) مخافة إجلال وإعظام[٧]. وإذا افتخروا بأنفسهم قالوا: (**وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ**) (الصافات: ١٦٤-١٦٦) إذ تقول الملائكة: لكلٍ منّا مقام من الطاعة لا يزلّ عنه، خشوعاً لعظمته سبحانه وتعالى. وإنّا الصّافون للعبادة مذعنين خاضعين مسبّحين[٨].

وظائف الملائكة:

عرض القرآن الكريم جملة من وظائف الملائكة. قال تعالى: (**اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً**) (الحج: من الآية٧٥) فأوّل وظائف الملائكة: اصطفاء الله

رسلاً منهم، ليكونوا وسائط بينه وبين مخلوقاته[٩] ويقول تعالى: (**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَاماً كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**) (الانفطار: ١٠ – ١٢).

فالكاتبون من وظائفهم كتابة أعمال النّاس وهم حافظون لما أرسلوا من أجله، فهم يعلمون أفعال النّاس كلّها[١٠] ومن ظواهر الآيات يتبيّن أنّ من وظائفهم الاطلاع على الأقوال أيضاً. قال تعالى: (**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**) (قّ: ١٨) والملائكة تتوفّى الأنفس، قال تعالى (**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ**) (الأنعام: من الآية٦١) وهؤلاء الملائكة هم ملك الموت وأعوانه لا يتوانون ولا يتأخرون[١١]. ومن وظائف الملائكة تبشير المؤمنين وتطمينهم. قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**) (فصلت: ٣٠) وقال تعالى: (**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**) (الأنفال: ٩) والملائكة مبشرون، قال تعالى: (**بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**) (الحديد: من الآية١٢) والملائكة يعاقبون الكفّار، قال تعالى: (**فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ**) (محمد: ٢٧) وخلاصة وظائف الملائكة قوله تعالى: (**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**) (القدر: ٤) أي تتنزّل الملائكة بموافقة اللّه سبحانه من أجل كلّ أمر قضاه[١٢].

أسلوب الملائكة:

عرض القرآن الكريم خطابات للملائكة عدّة، ممّا يؤهّل البحث أنْ يكشف بوضوح عن خصائص أسلوبهم. إنّ خطاب الملائكة يدور في محورين: خطاب مع اللّه سبحانه، وخطاب مع البشر.

خطابهم مع اللّه سبحانه، ينقسم على قسمين: خطاب إجابة، وخطاب ابتداء. قال تعالى: (**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ،قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ**) (سبأ: ٤٠- ٤١) فاستفهام اللّه سبحانه من الملائكة فيه تقريع للكفار، الغاية منه إقرارهم على أنفسهم بالكفر وشهادة الملائكة عليهم[١٣].

أمّا خطاب الملائكة مع اللّه سبحانه ابتداءً فيعرضه قوله تعالى: (**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ،رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**) (غافر: ٧ -٩) قيل إنّ أفضل الملائكة حملة العرش، وهم المسبّحون الحامدون أبداً، وقد وُصفوا بالإيمان ليُشعر بالتجانس مع البشر المؤمن، فما دعاؤهم الّذي ينمّ عن حبّ المؤمنين وودهمّ إلّا لاشتراكهم بصفة الإيمان، وهذا ما يردم هوّة الفرق بين الملائكة والبشر[١٤]. وكذلك قوله تعالى: (**تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ**) (الشورى:

من الآية٥) قيل: (**تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ**) من كلمة الكفر المتأتيّة من الأرض. لذا كان استغفار الملائكة ضجيجاً بالتسبيح والحمد طلباً للحلم الربّاني على من في الأرض[١٥] وبياناً لخوفهم من ربّهم، خوف إجلال وإعظام، إشفاقاً على جنس من في الأرض لأنهم أعلم بغضب الله الّذي تكاد السّماوات يتفطرن منه، ولأنّهم أعلم بشناعة كلمة الكفر.

أما خطاب الملائكة مع البشر فيدور في محورين: مخاطبة الملائكة لعباد الله الصالحين، ومخاطبتهم للكافرين.

إنّ مخاطبة الملائكة لعباد الله الصالحين تعرضه جملة من الآيات. قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**) (فصلت: ٣٠) قيل كلّ نفس لا تخرج من الدنيا حتى تعرف مصيرها[١٦] فالّذين استقاموا على التوحيد وشريعة محمّد صلى الله عليه وآله[١٧] تبشرهم الملائكة بالجنّة وتطمئنهم ألا يخافوا ممّا هو قادم عليهم في عالم ما بعد الموت، وألا يحزنوا على ما تركوا في الدنيا[١٨] وقال تعالى: (**لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**) (الأنبياء:١٠٣) قيل إنّ الملائكة قرناء المؤمنين في الحياة الدنيا لا يفارقونهم في الآخرة حتى يدخلوا الجنّة، يشدون أزرهم مذكرين إنّ هذا يوم الفوز الموعود، فلم يعد يحزنهم الفزع الأكبر الّذي يصيب الكفار حين إطباق النّار عليه[١٩] وقال تعالى: (**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**) (النحل: ٣٢). الملائكة تسلّم على داخلي الجنّة وتبلغهم أمر الله تعالى بدخولها[٢٠] وقد علّقت الملائكة دخول المؤمنين الجنّة بأعمالهم إذ جعلت الأعمال إمارة لإدخال العبد الجنّة[٢١] وقال تعالى: (**فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ**) (آل عمران: ٣٩) الملائكة تخبر زكريّا عليه السلام ببشارة ربّه وهو في محراب صلاته، واصفين تلك البشرى بكلمة من الله سبحانه وبأنّه مصدّق لعيسى بن مريم، وشريف في العلم والعبادة و(حصوراً) أي منزّه حتى عن الغرائز المباحة[٢٢]. وقال تعالى: (**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**) (آل عمران: ٤٢، ٤٥) الملائكة تخبر مريم عليها السلام بما يسرّها، يبلغونها رسالة ربّها: أنّها مصطفاة ومطهّرة ومصطفاة على نساء العالمين ويبلغونها: أنّه المسيح عيسى بن مريم، قد كان بكلمة (كن) الربانيّة، وأعلموها بتمام الرّسالة: إنّ المولود وجيه في الدّنيا والآخرة وهو من المقربين من الله جلّ جلاله[٢٣].

أمّا أسلوب الملائكة مع الكفار فيختلف عن أسلوبهم مع العباد الصالحين. إذ كان على شكل استفهام تبكيتي. قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً**) (النساء: ٩٧) وقيل إنّ

معنى: (فِيمَ كُنْتُم) للتوبيخ أي لم يكونوا في شيء من دين الله[٢٤]، ولمّا أجاب الظالمو أنفسهم بِكَتْتهم الملائكة بقولهم: (**أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**) وكذلك قوله تعالى: (**حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ**)(الأعراف: من الآية٣٧) فالملائكة الموكولة باستيفاء الأنفس استفهمت استفهام توبيخ وتقريع[٢٥] ولمّا لم ينكر الكفار على الملائكة استفهامهم شهدوا على أنفسهم بالكفر. وقال تعالى: (**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ**) (الزمر: ٧١) واستفهام الملائكة على سبيل التوبيخ والتقريع[٢٦] ومن أسلوب الملائكة ما جاء في قوله تعالى: (**وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذَابِ،قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**) (غافر: ٤٩- ٥٠) فالاستفهام هنا (إلزام للحجّة وتوبيخ وأنهم خلّفوا وراء هم أوقات الدعاء والتضرع وعطّلوا الأسباب الّتي تُستجاب لها الدعوات: (قَالُوا فَادْعُوا) أي ادعوا أنتم... وليس قولهم (فَادْعُوا) لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة)[٢٧] ■

(١) تفسير البيضاوي: ٤٠٩/٤.
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي: ٢٧٩/١.
(٣) ينظر: روح المعاني: ٢٥/٣٠.
(٤) ينظر: جامع البيان: ٤٤/٢٤ ،وتفسير البيضاوي: ٨٧/٤.
(٥) ينظر: تفسير البيضاوي: ٣٥٧/٥.
(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥٠/٨.
(٧) ينظر: فتح القدير: ١٦٧/٣.
(٨) ينظر: الكشاف: ٥١/٤.
(٩) ينظر: تفسير البيضاوي: ٤٠٩/٤.
(١٠) ينظر: الكشاف: ٤ /٥٧٢.
(١١) ينظر: تفسير القرآن للصنعاني: ١٩١/١ .
(١٢) ينظر الكشاف: ٦٢٢/٤.
(١٣) ينظر: معالم التنزيل: ٥٦١/٣.
(١٤) ينظر: الكشاف: ١١٨/٤.
(١٥) ينظر: تفسير القرآن،الصنعاني: ١٩٠/٣.
(١٦) ينظر الدر المنثور: ١٣٨/٤.
(١٧) ينظر: تفسير النسفي: ١٣٨/٤.
(١٨) ينظر الدر المنثور: ٣٢٣/٧.
(١٩) ينظر: م ن: ٦٨٢/٥-٦٨٣.
(٢٠) ينظر: م ن: ٣٣/٨.
(٢١) ينظر: الجواهر الحسان: ٣٣/٢.
(٢٢) ينظر: جامع البيان: ٢٥٠/٣-٢٥٧.
(٢٣) ينظر: م ن: ٢٦٩/٣-٢٧١.
(٢٤) ينظر: الكشاف: ٤٣٠/١.
(٢٥) ينظر: روح المعاني: ٣٢/٢٤.
(٢٦) ينظر: م ن: ٣٢/٢٤.
(٢٧) الكشاف: ١٣٤/٤.

رسائل وخطب خالدة

لما فسدت مصر على محمد بن أبي بكر ﷺ، كتب أمير المؤمنين عليه السلام كتابًا إلى مالك بن الحارث الأشتر ﷺ عامله على الجزيرة (وهو يومئذ بنصيبين) جاء فيه:

(أما بعد فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين، وأقمع به نخوة الأثيم وأسد به الثغر المخوف، و [قد] كنتُ وليت محمدًا بن أبي بكر مصر، فخرجتُ عليه بها خوارج وهو غلام حدث ليس بذي تجربة للحرب ولا بمجرب للأشياء، فأقدم علي لننظر في ذلك فيما ينبغي، واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك والسلام).

فأقبل مالك حتى دخل على أمير المؤمنين عليه السلام فحدثه حديث أهل مصر ، وقال له :

(ليس لها غيرك، أخرج رحمك الله إلى مصر، فإني إن لم أوصك اكتفيت برأيك، واستعن بالله على ما أهمك، فأخلط الشدة باللين، وأرفق ما كان الرفق أبلغ، واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة).

فخرج الأشتر ﷺ وأتى رحله وتهيأ للخروج إلى مصر ، وكتب أمير المؤمنين ﷺ معه إلى أهل مصر بالكتاب التالي :

(بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين إلى أمة المسلمين الذين غضبوا لله حين عصي في الأرض، وضرب الجور بأرواقه على البر والفاجر، فلا حق يستراح إليه ولا منكر يتناهى عنه - سلام عليكم - فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فقد بعثت إليكم عبدًا من عبيد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر، أشد على الكفار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه سيف من سيوف الله، لا نابي الضريبة ولا كليل الحد، فإن أمركم أن تقدموا فأقدموا، وإن أمركم أن تنفروا فانفروا، فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمري، وقد آثرتكم به على نفسي لنصحه لكم وشدة شكيمته على عدوكم، عصمكم الله بالهدى، وثبتكم على اليقين، والسلام).

نهج السعادة: المحمودي ٥/٤٩ـ٥١

التوحيد..

بين الإسلام والفكر السلفي

محمد جعفر صادق القاضي •

للتوحيد الموقع الأعلى في العقيدة، فبه يمتاز الموحد عن المشرك، وهو المفتاح لقبول التوبة واستحقاق المغفرة (إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ).

ينابيع: وقد احتل التوحيد الموقع الأول في المباحث العقائدية في مختلف الأديان والاتجاهات الفكرية، ويمكن القول إن الموحدين والتابعين للشرائع السماوية يتفقون في إثبات الصفات الكمالية على نحو الإجمال فهم يؤمنون بقدرة الله تعالى وعلمه وغيرها من صفات الكمال والتي يطلق عليها أيضاً: (صفات الجمال) أو: (الصفات الثبوتية).

والخلاف بين أصحاب المذاهب في مباحث التوحيد إنما وقع في صفات الجلال، والتي يطلق عليها: (الصفات السلبية) أو: (الصفات التنزيهية).

أقسام التوحيد

التوحيد بحسب ذاته أمر واحد بسيط، ولكنه بحسب متعلقات البحث العلمي ينقسم إلى عدة أقسام:

١ـ توحيد الذات: وفيه إطلاقان:

الأول: الواحد بمعنى أنه تعالى ليس له نظير أو مثيل.

الثاني: الأحد بمعنى أنه تعالى بسيط لا جزء له.

٢ـ توحيد الصفات: والمراد فيه إثبات

أن الصفات الإلهية هي عين ذاته، بمعنى أنه ليس لصفاته وجود وراء وجود الذات المقدسة؛ لأنها لو كانت مستقلة في الوجود لزم من ذلك إما أن تكون قديمة أو حادثة، فإن كان الأول لزم من ذلك تعدد القدماء، وبملاك الغيرية تثبت الحاجة إليها فيقتضي ذلك النقصان الذاتي، ولازمه الحدوث وهو يتنافى مع وجوب الوجود، فهو محال.

وإن كان الثاني فإما أن تكون مخلوقة له أو لغيره، وفي كلا الحالين يلزم كون الذات محلاً للحوادث وكل ما كان محلاً للحوادث فهو حادث، للزوم التغير في ذاته، وهو محال لأن التغير فرع الحدوث وهو واجب الوجود بالذات.

فاقتضى ذلك كون الصفات الثبوتية عين الذات المقدسة.

٣- التوحيد في الخالقية: وهو فرع التوحيد في الصفات، ويقع ضمن المباحث المتعلقة بالصفات الإضافية التي تقع بمجموعها تحت صفة القيومية، وهي من الصفات الذاتية الجمالية. والمراد منه هنا: أن لا خالق بالأصالة وبالذات سوى الله تعالى فهو الخالق والموجد لكل شيء إما بالمباشرة أو بالتسبيب.

٤- التوحيد في الربوبية: أي انحصار التدبير في الله تبارك وتعالى، وهو القضية التي وقع المشركون فيها في الغالب.

٥- التوحيد في الحاكمية: أي انحصار حق الحاكمية فيه تعالى، والحاكمية من شؤون الربوبية، فإن الرب بما أنه صاحب المربوب ومالكه لأنه خالقه وموجده من العدم، فهو المتصرف به والمتسلط عليه.

٦- التوحيد في الطاعة: أي إن حق

الطاعــة منحصر فــي الله تعالى فلا يجوز إطاعة غيره إلا بإذنه.

٧- التوحيد في التشــريع: أي انحصار حق التشريع والتقنين به تبارك وتعالى.

٨- التوحيــد فــي العبــادة: أي لا يجوز عبادة غيره تعالــى، وفيه وقع الخلاف بين الســلفية وغيرهم من المســلمين بســبب الاختلاف في فهم معنى العبادة.

الأقســام المتقدمة هي أقسام مباحث التوحيــد عندنــا(*)، وأمــا أقســامها عند السلفية فهي:

١- توحيــد الربوبية: وهــو الإيمان بأن الله تعالــى هــو الخالق والــرازق والمالك والحاكم...إلى آخره.

٢- توحيــد الإلوهيــة (العبودية): أي لا يصــح صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تبارك وتعالى وإن كان دعاءً أو نذراً.

٣- توحيــد الأســماء والصفــات: وهو إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، أو أثبتها له رسوله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل. (راجــع :تحقيق العبودية بمعرفة الأســماء والصفات:١٠٥).

التوحيد في العبادة

وقــع الخــلاف بيــن المســلمين فــي جزئيــات مباحث التوحيد مع اتفاقهم على العنــوان العام، وأهم المباحــث التي وقع الخلاف الشــديد بين عموم المسلمين من جهة، والســلفية من جهة أخرى هو مسألة التوحيد في العبادة.

ولب الخلاف يقع فــي مفهوم العبادة، فعموم المســلمين يذهبون إلــى أن العبادة هي الخضوع للغير بما هو إله أو رب.

أما الســلفية فيذهبون إلــى أن العبادة هي مجــرد الخضوع للغيــر، وهم بهذا لا يشترطون في تحقق العبادة اعتقاد إلوهية أو ربوبية المخضوع له. ولتحقيق المســألة لا بد من الوقوف على معنى العبادة فنقول:

إن العبــادة إما أن تكون مطلق الخضوع والتذلــل أو هي الخضوع والتذلل للغير مع اعتقاد إلوهيته وربوبيته.

ولتحديــد المعنى الصحيــح نرجع إلى القــرآن الكريم ليكون الحكــم الفصل في هذه المســألة، ومما لا ريــب فيه أن عبادة غير الله تعالى من أقبح المنكرات (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

ولما كان يســتحيل علــى الله تعالى أن يأمر بالشــرك؛ فإذن كل ما أمر الله تعالى به مما يشمله إطلاق تعريف السلفية يكشف لنا خطــأ تعريفهم وأنهم قد جعلوا ما ليس بشرك شركاً.

ولعل أبرز وأوضــح مصاديق الخضوع والتذلــل للغير هو الســجود لذلك الغير، فــإن كان الســجود مطلقــاً - وإن لــم يكن مع اعتقــاد الربوبية - عبادة للمســجود له فحينئذ يكون الله تعالــى قد أمر الملائكة بالشــرك لأنه تعالى أمرهم بالسجود لآدم (عليه الســلام) (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا..).

بــل إن الأنبياء منهم من ســجد للغير، ومنهــم من رضي بســجود الغيــر له، كما أخبر بذلك القــرآن الكريم (وَرَفَــعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا).

وحيث يســتحيل أن يأمر الله بالشرك كمــا دلت عليــه الآية الكريمة، ويســتحيل أن يقــوم الأنبيــاء بالشــرك أو أن يقــر أحدهــم على الشــرك، دل ذلــك على أن

مطلق السجود ليس بعبادة، بل العبادة من السجود ما اقترن فيها السجود باعتقاد العبودية. وإذا كان هذا الحال في أعظم مصاديق العبادة وهو السجود فالحال في غيرها من الأفعال يكون أجلى وأوضح.

توحيد الصفات

كما بينا في أقسام التوحيد ومراتبه، وفي الكلام عن توحيد الصفات قلنا بأن الصفات الثبوتية إنما وقع الخلاف فيها بين المسلمين في تفاصيلها فحسب، والكل يثبتها لله تعالى في الجملة، وأما الخلاف والافتراق والأخذ والرد فقد حصل في الصفات الخبرية والسلبية. ففي هذا القسم من التوحيد حصل الخلط والاختلاف والتعطيل والتشبيه والتأويل، فأكثر المسلمين على القول بالتأويل وعدم الاعتقاد بظواهر النصوص التي يلزم منها النقص والحاجة والتشبيه والتجسيم للذات الإلهية المقدسة.

ومن هنا نذكر بعض مدارس المسلمين التي لم تتخذ منهج التأويل ولم ترتض ما ارتضاه عقلاء الأمة وعلماؤها الكبار، فحاولوا إثبات ظواهر تلك الصفات فوقعوا في مأزق ومحذور خطير وهو التجسيم والتشبيه ونسبة النقص لله تعالى، وقد قال عز من قائل: (ليس كمثله شيء).

إن مبحث توحيد الأسماء والصفات مبحث دقيق وعميق وواسع، إلا أننا سنحاول الاختصار فيه قدر الإمكان ونذكر بعض الصفات:

أولاً: الاستواء. حمل السلفيون قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) على ظاهرها خلافاً لجميع المسلمين، فالأشاعرة والمعتزلة والماتريدية وعموم جمهور أهل السنة وكذلك شيعة أهل البيت عليهم السلام أوّلوا ظاهر هذه الآية الكريمة وقالوا: بأن استوى هنا بمعنى الاستيلاء والسلطنة والقدرة لا غير. أما ابن تيمية ومن تبعه فقالوا استوى يجب أن تحمل على ظاهرها وحقيقتها وهو العلو والاستقرار، ولا يجوز تأويلها وخطّأوا وضللوا من يتأولها فقالوا عنهم بأنهم اتبعوا الأخطل النصراني في دينهم حيث استدلوا بشعره حين قال:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

وهذا القول مجانب للحقيقة واتهام باطل زائف، فهذا البيت ليس هو الدليل الوحيد على هذا المعنى فقد ذكر الطبري عدة معانٍ لغوية لكلمة استوى منها هذا المعنى وبدليل آخر غير قول الأخطل. فراجع إن شئت[1].

وقال الراغب الأصفهاني: واستوى يقال على وجهين... ومتى عدي بـ (على) اقتضى معنى الاستيلاء كقوله (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) وقيل معناه استوى له ما في السموات وما في الأرض أي استقام الكل على مراده بتسوية الله تعالى إياه كقوله: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَآءِ فَسَوَّاهُنَّ) وقيل معناه استوى كل شيء في النسبة إليه فلا شيء أقرب إليه من شيء إذ كان تعالى ليس كالأجسام الحالة في مكان دون مكان، وإذا عدي بـ (إلى) اقتضى معنى الانتهاء إليه إما بالذات أو بالتدبير، وعلى الثاني قوله: (**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ**)[2].

وقال العلامة العيني: وقالت المجسمة: معناه استقر وهو فاسد لأن الاستقرار من صفات الأجسام ويلزم منه الحلول والتناهي وهو محال في حق الله تعالى.

واختلف أهل السنة فقال بعضهم: معناه ارتفع مثل قول أبي العالية، وبه قال أبو عبيدة والفراء وغيرهما، وقال بعضهم: معناه ملك وقدر، وقال بعضهم: معناه علا، وقيل: معنى الاستواء التمام والفراغ من فعل الشيء[٣].

وذكر ابن حجر كلام العيني نفسه ورد على الذين أوّلوا الاستواء بالاستيلاء كابن بطال بقوله: وقد ألزمه من فسره بالاستيلاء بمثل ما ألزم هو به من أنه صار قاهراً بعد أن لم يكن والانفصال عن ذلك للفريقين بالتمسك بقوله تعالى: (**كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**) فإن أهل العلم والتفسير قالوا معناه: لم يزل كذلك. ثم ذكر بعض المعاني الأخرى لكلمة (اسْتَوَى)[٤].

وقال أيضاً عن العرش ونفي الجهة: وليس قولنا إن الله على العرش أي مماس له أو متمكن فيه أو متميز في جهة من جهاته، بل هو خبر جاء به التوقيف فقلنا به ونفينا عنه التكييف إذ ليس كمثله شيء[٥].

وصرح ابن حجر أيضاً بنفي العلو الحسي فقال: (ولا يلزم من كون جهتي العلو والسفل محال على الله أن لا يوصف بالعلو، لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى، والمستحيل كون ذلك من جهة الحس)[٦].

وذكر ابن حجر نفس قول العيني حينما نسب للمجسمة تفسيرهم للاستواء بالاستقرار، وأنكر عليهم ذلك، ونقل عن ابن بطال رده على المجسمة وتفسيرهم للاستواء بمعنى الاستقرار[٧].

فعند ابن حجر العسقلاني والعلامة العيني وابن بطال وغيرهم أن الاستواء بمعنى الاستقرار هو قول المجسمة وهو قول باطل وغير مقبول وليس قولاً لأهل السنة.

وجاء بعد ذلك المحدث السلفي الألباني وأكد على ذلك حيث أنكر على من يثبت هذا المعنى لله تعالى فقال في رده على ابن تيمية في هذه المسألة: (ولست أدري ما الذي منع المصنف ـ أي ابن تيمية ـ من الاستقرار على هذا القول وعلى جزمه بأن هذا الأثر منكر كما تقدم منه فإنه يتضمن نسبة القعود على العرش لله عز وجل، وهذا يستلزم الاستقرار عليه تعالى وهذا مما لم يرد، فلا يجوز اعتقاده ونسبته إلى الله عز وجل)[٨].

أما ابن تيمية فقد أثبت هذا المعنى ـ الاستقرار ـ ونسبه لله تعالى واعتقد فيه فقال: (ولو شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته، فكيف على عرش عظيم أكبر من السماوات والأرض، فكيف تنكر أيها النفاج أن عرشه يقله...)[٩]. وتبعه على ذلك ابن عثيمين من أئمة السلفية فقال: (وهو استواء حقيقي معناه العلو والاستقرار)[١٠].

فنخلص بنتيجة هي أن السلفية لا يعلمون هل الله تعالى مستوٍ على العرش بمعنى العلو أم الارتفاع أم الاستقرار؟! وأكثر أئمتهم على صحة معنى الاستقرار وإثباته لله تعالى، ولكن وجدنا أيضاً أن السلف والخلف ينكرون ذلك! فلا ندري هل هذا الاختلاف بينهم مقبول مع أن نفي معنى الاستقرار وإنكاره ثابت من أئمتهم وغيرهم من سائر فرق المسلمين، ولكن الاستواء بمعنى السلطنة والقدرة قال به أكثر المسلمين حتى الكثير من أهل السنة والسلف والخلف أنفسهم كما نقلنا عن البعض آنفاً.

والمصيبة الكبرى الأخرى هي إثباتهم العلو الحسي والارتفاع المادي لله تعالى

حيث يوجبون الإشارة الحسية المادية لمكان الله، تعالى عما يصفون. وقد ذكرنا في رد ذلك وإنكاره عن الحافظ العسقلاني، مع وجود محاذير ولوازم فاسدة كثيرة من التزام هذا القول، حيث إننا إن قلنا وسلمنا بحقيقة كروية الأرض التي ينفيها بعضهم فإننا لو كنا في القطب الشمالي وأشرنا إلى الأعلى وجاء آخر في القطب الجنوبي وأشار نحو الأعلى عنده وكذلك من كان في الشرق والغرب والاتجاهات الأخرى من الأرض لأصبح لكل منطقة جهة وسماء تخصه تختلف تماماً عن جهة وسماء الآخر في المنطقة الأخرى وبالتالي يكون الإله الذي نشير إليه جميعاً محيط بكل الكرة الأرضية والكواكب السيارة والنجوم والشمس والقمر فيكون هذا الإله مجوفاً وليس صمداً بحسب القرآن الكريم فتكون الذات الإلهية المقدسة محيطة بالأرض والمخلوقات داخلة ومحاطة بالذات الإلهية وهذا القول باطل لا يمكن أن يلتزمه مسلم.

وبالتالي فإن الله ـ تعالى عما يصفون ـ سوف لا يكون فوق، بحسب الإشارة الحسية أيضاً لأن من كان في أعلى الأرض يكون الفوق عنده بعكس اتجاه من كان في أسفل الكرة الأرضية، ولذلك فيمكن على قولهم وإثباتهم المكان لله تعالى أن يؤشر الشخص أينما كان إلى أي اتجاه. فإنه بالتالي سيكون الاتجاه الذي أشار إليه هو فوق لإحدى النقاط والمناطق بالضبط، حتى لو أشار إلى الأسفل وإلى الأرض، لأن من كان في عكس اتجاهه ستكون إشارته الحسية إلى أعلاه هي نفس اتجاه وإشارة من كان بالاتجاه المقابل له من الأرض والذي أشار إلى الأرض لا إلى السماء، وبالتالي لن نحتاج إلى الإشارة الحسية حينئذٍ إلى السماء لعدم انحصار مكان الله تعالى في الاتجاه الأعلى للشخص، وإنما هو موجود حول جميع اتجاهات الأرض ومحيط بالأرض بذاته، فتنتفي الحاجة إلى الإشارة بالإصبع التي يوجبها السلفيون إلى الأعلى، بل إن من يشير إلى الأعلى يعتبر على هذا مخطئاً ضالاً لا يعرف ربه، ولا مكان لربه، لأنه حصره باتجاه معين وهو الفوق بالنسبة له، مع أننا قد أثبتنا بأنه على تفسيرهم الحسي محيط بالأرض ولا ينحصر مكانه بالأعلى من العراق أو مصر أو السعودية أو الخليج فقط، وإن الله الذي يشير إليه السلفيون محيط بالأرض، فلا يصح حينئذٍ حصر مكانه بالأعلى من مناطقنا فقط!.

ولنختم الكلام هنا حول صفة الاستواء، وسنتكلم في الحلقة القادمة عن باقي الصفات، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين ■

(*) قد ذكر هذه الأقسام وأشبعها بمزيد من التفصيل الشيخ جعفر سبحاني في كتاب (محاضرات في الإلهيات) ص٣٦ ـ ٧٢ ، فراجع.

(١) جامع البيان ١: ٢٧٦-٢٧٧.
(٢) مفردات غريب القرآن: ٢٥١.
(٣) عمدة القاري ٢٥: ١١١.
(٤) فتح الباري ١٣: ٣٤٢.
(٥) فتح الباري ١٣: ٣٤٩.
(٦) فتح الباري ٦: ١٣٦.
(٧) فتح الباري ١٣: ٣٤٢.
(٨) مختصر العلو للذهبي: ١٧.
(٩) بيان تلبيس الجهمية ١: ٥٦٨.
(١٠) شرح لمعة الاعتقاد: ٤١.

تحقيق مصور

سراديب النجف

تحقيق: **هاشم سعدون**

تصوير: **أمير رحيم**

تقع النجف على قمة أرض رملية عالية عريضة، وبسبب الصحاري الشاسعة التي تحيط بالنجف أصبح مناخها لاهبَ الحر في الصيف، ثمة رياح محرقة تهب على النجف من صحارى الجزيرة، وبسبب هذا المناخ تولدت فكرة إنشاء مساكن تحت سطح الأرض، يلوذ بها السكان من الحر اللاهب، ومن واقع النجف المبدع أبدع المعماريون في بناء هذه المساكن، بحيث أصبح لها ممرات تصل بعضها بالبعض الآخر، ومن ثم تفضي إلى خارج مدينة النجف الأشرف، واستغلت في ما بعد كوسيلة دفاع ضد الغزاة على مر الحقب الزمنية التي مرت على هذه المدينة، وأصبحت تعرف هذه المساكن عند النجفيين بـ(سراديب النجف).

يذكر التاريخ أن النجف كانت تطل على بحر متلاطم الأمواج مما حدا بالنعمان بن المنذر أن يبني قصر الخورنق المطل على ذلك البحر، ويتفق المؤرخون أن تحت هذا القصر عدداً من السراديب التي استخدمت كمخازن وسجون.

وبعد جفاف بحر النجف تحولت إلى مدينة صحراوية، فكيف بها وكيف بقاطنيها؟!

لقد بات مناخها بسبب إحاطتها بالصحاري الشاسعة مناخاً لاهب الحر صيفاً، مثلج القرّ شتاء، ففي الصيف ثمة رياح محرقة تهب على النجف من صحارى الجزيرة، مثل ريح السموم، وريح اللاهوف وريح الغبرة.

وبسبب هذا المناخ ومع شحة المياه، كان من يسكن النجف الأشرف بحاجة لمكانٍ يلوذ به من الحر اللاهب في الصيف، ومن البرد القارص في الشتاء، فتولدت لدى سكان النجف فكرة إنشاء مساكن تحت الأرض أطلقوا عليها (السراديب).

عرفت النجف السراديب قبل ظهور الإسلام بوقت طويل، وليست النجف بمحيطها القديم وبسراديبها المشهورة بدعاً في ذلك، بل ثمة قصر الأخيضر القريب منها حذو عين التمر فيه سراديب، بعضها مخازن أسلحة، وبعضها مخازن تحف، ونفائس، ومنها سجون، والبقية مهاجع أي سراديب تقليدية.

كانت العائلة النجفية تقضي ساعات طويلة من أيام الصيف شديدة الحرارة في السراديب التي تميزت بسمك جدرانها، وانخفاض مستوى أرضيتها عن مستوى أرضية البيت، إذ يصل عمق السرداب في بعض الأحيان إلى عشرين متراً تحت سطح

الأرض، مما يجعله بعيداً عن الحرارة الشديدة في فصل الصيف، لكن يتراوح العمق الاعتيادي بين الستة والسبعة من الأمتار.

وبعد ظهور مرقد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد أن كان مخفياً لفترة طويلة من الزمن، كثر سكان النجف رغبة منهم في مجاورة مرقده الطاهر، ونتيجة لكثرة مساكنهم كثرت السراديب أيضاً، وقد تطورت السراديب من حيث العمارة بعد هجرة الشيخ الطوسي إليها في القرن الخامس، الهجري حيث أصبح المعماريون يتفننون في بناء السقوف، والجدران، وطرق التهوية، وغيرها من مواصفات السراديب المريحة والضرورية.

ساعد على برودة السراديب وجود المياه الجوفية تحت أرض النجف بغزارة، حيث ساهمت هذه المياه في توفير جو رطب و بارد في هذه السراديب.. كما استفاد البعض من قرب المياه الجوفية بحفر الآبار في سراديبهم، ويذكر أن منسوب أرض النجف أعلى من منسوب نهر الفرات بما يقارب الخمسة عشر متراً.

يتمتع السرداب بدرجة حرارة ثابتة صيفاً وشتاءً، عكس المفهوم السائد بأن درجة حرارة جو السرداب منخفضة في الصيف ومرتفعة في الشتاء، وهذا الثبات يكسب السرداب جواً معتدلاً طوال أيام السنة.

وكانت السراديب تبنى بالطابوق والجص بطريقة تختلف عن بناء الدور، حيث يبنى سقف السرداب على شكل قبة، أما أرضية السرداب فتغلف بالطابوق الفرشي مما يكسب المكان برودة إضافية.

ومن أنواع السراديب في النجف الأشرف، السراديب الأرضية التي يصل عمقها إلى ستة أمتار، وسرداب (النيم سن) وهو يلي السرداب الأول، ويكون أشد برودة وأكثر هدوءاً، فليس ثمة صوت يصل إليه، ومن يستطيع صنع سرداب ثالث يصل فيه الحفار إلى السن ـ وهو آخر الطبقات الأرضية الصخرية حيث المياه الجوفية، فقد وصل إلى أبرد مكان ممكن أن يصل إليه تحت الأرض، ولا يمكن لأحد النوم فيه من دون سرير مرتفع عن الأرض، ومن دون غطاء يقيه البرد الشديد، وفي هذا السرداب تخزن الفاكهة والخضروات، ولا يقدر (المصاب بهبوط الضغط أو فوبيا المرتفعات) على النزول إلى السرداب الأخير، فالهبوط إلى العمق مثل الارتفاع إلى العلو كلاهما صعب.

آلية تهوية السراديب تجري بواسطة فتحات صغيرة جانبية تكون على شكل مجار عمودية للتهوية، وهي عبارة عن فتحات داخل الجدار، وفوهتها في أعلى سطح الدار، ينتقل الهواء من الأعلى عبر هذه الفتحات إلى فضاء السرداب، فيساعد الماء الذي يرش على أرضية السرداب على ترطيب الهواء الخارجي الجاف الآتي من السطح عبر هذه الفتحات، وتسمى هذه الفتحات أو المجاري العمودية بالملقف الهوائي، ويطلق عليه محلياً (البادكير) وهي كلمة فارسية مؤلفة من مقطعين (باد) أي هواء، و(كير) بمعنى جالب أو ساحب.

ويوجد في أكثر السراديب الأرضية شبابيك خاصة بإنارة فضاء السرداب، وتكون أفقية مطروحة بمستوى أرضية البيت.

المعماريون الذين ينشئون السراديب في وقتنا الحاضر نادرون جداً، ولم

يبق منهم إلا عدد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، وكانت أجورهم تختلف عن أجور باقي البنائين، وذلك لصعوبة عملهم، وقد تميز كل واحد منهم بنمط معين من البناء. وللسراديب فوائد أخرى في الشتاء حيث تستعمل كمخازن لحفظ الحبوب والغلال وبعض الحاجيات المنزلية الأخرى.

وقد اهتم بعض السكان في إبقاء السراديب في دورهم وتعميرها وربما عمد البعض إلى بناء سرداب حديث في داره أو في المدارس الدينية المنتشرة في مدينة النجف القديمة، حيث يكون البناء وفق الطرق الحديثة.

بعد ظهور الكهرباء في أواسط القرن الماضي انحسر استعمال السراديب في النجف، حيث بدأت تنتشر أدوات التبريد الحديثة، وكان من الطبيعي أن تخلو البيوت الحديثة من السراديب، إلا أن نظام الحكم السابق، وبخاصة في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي كان له دور في إعادة استخدام السراديب، ولكن لأغراض أخرى غير التبريد وحفظ الغلال.

فقد كان يلجأ إلى السراديب الملاحقون من قبل الدولة في قضايا سياسية، كما كانت عوائل النجف تعمد إلى إخفاء الكتب الدينية القيمة التي كان نظام البعث يمنع قراءتها أو تداولها، مما أدى إلى تلف الكثير من الكتب النادرة في النجف.

إن الكثير من السراديب في البيوت النجفية يتصل بعضها بالبعض الآخر، ومنها ما يحتوي على آبار تؤدي إلى أنفاق قد يصل طول أحدها العشرين كيلومتراً، وكانت هذه محنة العثمانيين والإنجليز أيضاً مع أهل النجف، فبإمكان البعض أن يغيب في بئر نجفي ليظهر في قرية أبو فشيكة قرب مدينة الجعّارة (الحيرة)، وقد عالجها النظام السابق حين سمم بعضاً منها وردم البعض الآخر.

من طرائف ما روي عن حكايات السراديب، أن رجلاً كان يسمع أصواتاً غريبة مصدرها من داخل البئر الموجود في قاع سرداب بيته، فظن أن البئر والسرداب قد سكنهما الجن، فقرر بيع البيت، فاشتراه أحدهم بثمن بخس جداً، وقبل أن يأتي بعائلته قرر أن ينزل إلى السرداب لعله يجد اتفاقاً مع المحترمين من الجن، فأخذ سراجاً، ونزل شيئاً فشيئاً إلى القاع، وهو يسمع الأصوات التي كانت ترتفع كلما اقترب من البئر، فدقق جيداً بعد أن أدخل رأسه في فتحة البئر فإذا هي أصوات رجال ممزوجة بأصوات سقوط الماء على الأرض، عندما يستحم الرجل في الحمام..، نعم هي أصوات قادمة عبر النفق الذي يربط بين بئر البيت وبئر الحمام الذي كان قريباً من البيت.

وللسراديب أثر بالغ في تاريخ النجف السياسي على مر الحقب الزمنية التي مرت على هذه المدينة، فمثلاً في الفترة التي أكثر الوهابيون (غزاة نجد) هجماتهم على بلاد المسلمين، وخاصة الشيعية منها، وظف الشيخ جعفر كاشف الغطاء المعروف بـ(الشيخ جعفر الكبير) شيئاً من أموال الحوزة لحفر سرداب خارق السعة، خارق العمق، بمداخل ومخارج سريّة لحفظ خزائن الروضة، وأرواح علماء الدين وزعماء المدينة.

وكثير من السراديب في النجف احتوت مخلفات الدارسين في الحوزة العلمية، والسياسيين وغيرهم، فهذه ذكرياتهم استلقت على أرض السرداب،

فذلك جدول دروس حوزوية، وهذه مجلة قديمة نشرت على صفحاتها صور لملوك ورؤساء عرب عفا عليهم الزمن، وذاك اليمين الدستوري الذي أقسمه أول رئيس لجمهورية العراق...، ذكريات غادرها أصحابها، وظلت هي في سردابها تحاكي الزمن والتآكل.

وكان سكان النجف وبحسب أوضاعهم الاقتصادية يهتمون ببناء السراديب كل على حسب مقدرته المادية، فإذا دخلت البيت النجفي، فإن لم يكن فيه سرداب فهذا يعني أن صاحب البيت كان معدماً، وإن امتلك سرداباً واحداً فهذا يعني أنه متوسط الحال، أما إذا كان في البيت سردابان، واحد للضيوف وآخر للعائلة فهذا يعني أن صاحبه ميسور الحال.

أما إذا كان في البيت سردابان براني ودخلاني وفي كل سرداب ثلاث طبقات: سرداب، ونصف سن، ثم سرداب سن، فهذا يعني أن صاحب البيت من أصحاب الثراء.

يخطئ من يظن أن النجفيين صنعوا السراديب لتقيهم من اللهب والسموم فحسب، بل هي تدرأ أيضاً برودة الأيام الباردة حين تصاحبها ريح عاصفة، والليالي قاسية البرودة، وأغلب النجفيين يجعل أرضية السرداب من الطابوق الفرشي المربع، ثم يفرشها بالبواري وهي حصران مصنوعة من القصب، ويفرش فوق البواري السجاد القطني، أو الصوفي أو الحريري، كل بيت حسب مستواهم المعيشي.

وقد اشتهرت بعض البيوتات بسراديبها مثل سرداب السيد بحر العلوم، وسرداب محسن شلاش، وسرداب عطية السيد سلمان، وسرداب عطية البو كلل، وسرداب شيخ سلمان الخاقاني، وسرداب محمد حسين زيارة البو اصبيع، وسرداب قصر النصراوي، وسرداب الملا سلمان، وسرداب علي كاشف الغطاء، وغيرها كثير.

والآن دارت الحياة دورتها ولكن إلى نحو آخر فقد بدأ النجفيون يحيون عمارة السرداب لكن يجعلونه طابقاً تحت الأرض معداً للمناسبات العامة، كالاحتفالات التي يهتم بها صاحب الدار، مثل المناسبات الدينية، ومناسبات الأعراس والتجمعات الأخرى ■

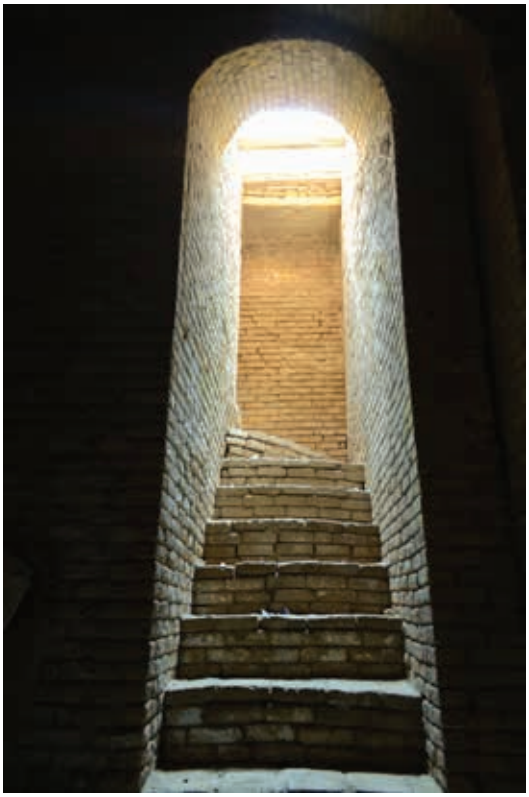

مع الفقيه..

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س: بعض الأشـــخاص يتاجر في بيع وشراء الســـيارات ويستخدم عملية غش الناس بحيث إذا باع أحد هذه السيارة يدعي أمام المشتري أنها غير عاطلـــة أو لم يوجد فيها نقص، بينما هـــو يعلم أنها عاطلة وفيهـــا نواقص كثيرة، ما حكم الأموال التي تؤخذ منها بعنوان الهبة أو الهدية أو غير ذلك؟

■ ج: إذا كان آخذ المال قد شـــارك بعملية الغش فيما يأخذه من المال في مقابل ذلك حرام وأما إذ كان مجرد هدية من معاملة وقع فيها الغش فهو له حلال.

س: هل يحكم على من حلق لحيته بغير عذر بالفسق؟

■ ج: يحـرم حلق اللحية. لكنه من الصغائـر التي لا تخل بالعدالة إلا مع الإصرار الذي هو بمعنى الاستهوان بالذنب.

س: يعمـد البعض إلى حلق جزء من اللحيـة القريبة من الأذنين والذقن وترك الجزء القريب من الفم، فهل يجوز هذا العمل شرعاً؟

■ ج: نعم يجوز.

س: أبي شـخص يعمل مصلحاً لأدوات التبريد فيوصيه الناس على بعـض احتياجاتهم من أجـزاء أدوات التبريد لخبرتـه بها ولكنه مرة يجدها بسـعر أقل من سـعر السوق فيحسـبها على موصيه (صاحب الجهاز) بسعر السوق، ومرة أخرى يجدها بسعر السوق فيحملها أكثر، أفتونـا في هذه الزيادة أحلال هي أم حرام. علماً أن الزيادة خارجة عن أجرة التصليح؟

■ ج: إذا كانت وظيفته منحصرة بالتصليح وكان أخذه لاحتياجات التصليح شـراء على حساب صاحب الجهاز لم يجز له أن يزيد سعر الأدوات عن قيمة شرائها.

س: بـاع زيد بضاعة بمبلغ (١٠٠٠) دينـار إلى خالد ولم يدفع خالد الثمـن حـالاً وأخبر زيداً بأنه سـيجلب الثمن خـلال يومين كما هو المتعـارف هذه الأيام ولم يجلـب خالد المبلـغ (١٠٠٠) دينار إلا بعد عامين من المدة بحيث أصبح سـعر البضاعـة المذكورة (٢٠٠٠) دينار. هل يحق لزيد أن يفسخ العقد أو أن يأخذ الثمن بسعر اليوم أم لا؟

■ ج: إذا لـم يكن تأخير الثمـن برضا زيد ولم يقبل زيد بالمعاملة مع التأخير المذكور كان له الفسخ وليس له أخذ الثمن بسعر اليوم. واللّه سبحانه العالم.

س: يقوم أحد الأشخاص نظراً لحاجته للمال بالاتفاق مع شخص آخر بأن يبيعه داره التي يسكنها ثم يقوم المشتري ببيع الدار ثانياً إلى المالك الأول بثمن أعلى من ثمن الشراء مثلاً يبيعه داره بمليون فيقوم المشـتري ببيعها بمليون ونصف والدفع مؤجل لمدة سنة. ما قولكم بمثل هذه المعاملة؟

■ ج: هــذه المعاملة صحيحة إذا كان القصد للبيع في الموردين حقيقياً لا صورياً. لكن إذا عجز المالك الأصلي الذي اشترى الدار ثانياً عن تسديد الثمن عند حلول الأجل فليس للطــرف الآخر إلزامه بتعجيل الوفاء وإحراجه ليجدد المعاملة بوجه يجر له نفعاً، كما أنه ليــس له أخذ فائــدة على التأخير بعد الأجل حتى إذا كان المديــن قادراً على الوفاء وكان التأخير عن تقصير منه، وبهذا تمتاز هذه المعاملة عن الربا.

س: هل يصح الإيداع في المصــارف الموجودة في الوقت الحاضر وهل تصح الفائدة التي تمنحها تلك المصارف؟

■ ج: إذا كان المصرف حكومياً جاز الإيداع فيه لا بنية الفائدة، ويجوز استلام الفائدة بمراجعة الحاكم الشرعي.

س: الطبيــب الجراح هل يضمن إذا لم تنجح العملية الجراحية من دون تقصير أو مسامحة منه وهل يعتبر جري الناس على عدم الضمان شرطاً ضمنياً مسقطاً لضمانه؟

■ ج: يضمن الطبيب الجراح مع التقصير، وكذا مع عدم التقصير إلا بأخذ البراءة من المريض أو وليه وإن كان قاصراً ولو لفقده الشــعور حين إجراء العملية. ولا يكفي جري النــاس علــى عدم الضمان في البــراءة إذا لم يبتن إقدام المريــض أو وليه على ذلك، بل لابــد فيها من إقدام المريض أو وليه على البراءة ولو لكونها شــرطاً ضمنياً ارتكازياً عند الطرفين مستفاداً من الواقع القائم.

س: مريض راجع طبيباً وأعطاه وصفة دواء وعرضها على الصيدلي ولكن أعطاه الصيدلي دواء آخر غير المقصود بســبب الإهمال وتوفي المريض بسبب هذا الخطأ فهل يستحق أهل المريض المتوفى الدية. وهل يدخل هذا الإهمال في قتل الخطأ أو قتل العمد؟

■ ج: إذا رجــع الإهمــال للتفريــط كان عليه الدية، بأن كان متســامحاً في دفع الدواء القاتل. أما مجرد الخطأ من دون تسامح فلا ضمان معه.

س: رجل اســتأجر دكاناً بسعر ملائم لســعر السوق وبعد فترة من الزمــن أراد المالك إخلاء الــدكان مع العلم بــأن المالك لو لم يخل المحل لزاد السعر (ســعر الإيجار). فهل يحق للمستأجر أن يبقى في المحل مع عدم رضا المالك أم لا يحق له ذلك؟

■ ج: لا يجـوز للمسـتأجر البقاء في الدكان من دون رضا المالك إلا أن يسـبق بينهما شرط شرعي يتضمن حقاً للمستأجر في البقاء.

س: إجارة تمت ببدل إيجار واسـتناداً إلى عقد رسـمي مصدق من الدوائر الرسمية، ويطلب المالك الآن دفع بدل إيجار أكثر من المتفق عليه، هل يحق له هذا وهل يجب تسليمه؟

■ ج: لا يستحق المالك زيادة الأجرة في نفس السنة التي وقع عليها الاتفاق. نعم له أن يطلب الزيادة في السنين اللاحقة الخارجة عن الاتفاق.

س: إذا اسـتؤجر لعمل بأجرة معينة فهل يجوز أن يسـتأجر غيره بأجرة أقل أو مساوية وما الحكم إذا أدى بعض العمل؟

■ ج: يجوز أن يسـتأجر غيره بما يسـاوي الأجرة التي أخذها، ولا يجوز أن يستأجره بأقل منها إلا أن يؤدي بعض العمل.

س: إذا وهب شـخص شـيئاً في حياته إلى أحد أقاربه ثم توفي هذا الشـخص فهل تعتبر تلك الهبة ماضية أو باقية أم إن الشيء الموهوب يرجع ليدخل مع باقي الإرث؟

■ ج: الهبـة المذكورة نافذة ولا يدخل الشـيء الموهوب مع باقي الإرث. نعم لابد في صحـة الهبة من قبض الشـخص الموهـوب للعين الموهوبة في حيـاة الواهب فإذا مات الواهب قبل قبضها بطلت الهبة وصارت العين الموهوبة ميراثاً.

س: رجل متزوج وعنده دار للسـكنى فجعل الدار باسم زوجته وقال لها قبل التسـجيل: إذا توفيت قبلك فالدار لك حق التصرف، فهل هذه الصيغة الشـرعية تلزم الزوجة أم لا ؟ وإذا توفيت الزوجة وبقي الزوج حيـاً وحيث إن الزوج أعقب منهـا أولاداً ذكورًا وإناثًا، فهل يحق له أخذ الدار كلها أم تصبح الدار ميراثاً ويقسم الميراث بينهم؟

■ ج: مـن حـق الـزوج الرجوع فيما قاله لأنه من سـنخ الوصية التـي يجوز للموصي الرجـوع فيهـا ما دام حياً، وحينئذ إذا رجع بقيت الدار له ولا ترجع ميراثاً، بل هي تبقى له حتى إذا لم يرجع في الوصية، وله بيعها والتصرف فيها.

هكذا نُكرّمُ الأعلام !

حيدر الجد •

ينابيع جدير بالأمة أن تحتفي بأبنائها الذين حفظوا لها مجدها وعملوا بكل ما أوتوا من قوة في خدمتها وصيانة تراثها فلم يفتروا في ليل أو نهار مواصلين الطريق رغم وعورته وصعوبته، فلم يثن عزمهم قول هامس أو وشاية عاذل أو ظلم حاكم، يلتمسون مواضع الإبداع فيسرعون إليها ورائدهم شوق يحدو بالنفس وأمل ينفتح في العقول وكلاهما يفضيان إلى أسمى علاقة بين الإنسان ووطنه، بين الفرع وأصله.

وعلى هذا الأساس سارت كوكبة متميزة تجلت فيها معاني الالتزام والصلاح، فلم تكترث لباقي المسميات ولم تخضع لحديث الشهرة والمال، بل واصلت الدرب بالعمل الجاد لتستقر في رحمة الله بعد تأدية الواجب خير أداء.

من هؤلاء برز عَلَمٌ خفّاق في سماء الأمة العربية والإسلامية، إنه الدكتور

مصطفى جواد الذي خدمهما كما يخدم الولد الصالح أبويه، وجاهد فيهما جهاد الجندي الذي يدافع عن أغلى ما يملك بعقيدة راسخة وبصيرة نافذة.

لقد مثّل مصطفى جواد حالة إبداعية فاقت التصور، فلم يطرق بابًا معرفيًا إلا وفُتح له على مصراعيه، ولم يمشِ بدربٍ إلا قاده نحو ما كان يتطلع إليه، راغباً في تقديم ما يخدم أمته ويجعلها ترتقي في سلم المجد.

هو مصطفى جواد مصطفى البغدادي ولد ببغداد سنة ١٣٢٦/١٩٠٥هـ ، انتقل مع والده إلى مدينة الخالص التي كانت تعرف بـ(دلتاوه) إحدى أقضية محافظة ديالى، درس بها في المدارس الرسمية، في سنة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠م) توفي والده فعاد إلى بغداد فأقام بها تحت رعاية أخيه كاظم أحد أدباء بغداد، عاش مصطفى حياة الفقر والحرمان ولكنه بالرغم من ذلك جدّ واجتهد وواصل المشوار الصعب

متسلحاً بالعزيمة والصبر، تتوثب فيه روح الطموح، فما لبث أن أكمل دراسته ببغداد حيث أنهى دراسته في المدرسة الجعفرية الأهلية، ثم دخل دار المعلمين وتخرج منها بعد مضي ثلاث سنين، ثم تدرج من معلم في المدارس الابتدائية إلى طالب في جامعة القاهرة ثم التحق بالسوربون في باريس لينال شهادة الدكتوراه في التاريخ عن أطروحته (الناصر لدين الله العباسي)، بعدها عاد إلى بغداد وعُيّن أستاذاً في دار المعلمين العالية (كلية التربية) ومكث بها إلى سنة ١٣٦٢هـ (١٩٤٣) عندها ترفع للأستاذية، ثم انصرف إلى البحث والتنقيب والتتبع، حتى أصبح حجة لا يبارى في اللغة والتاريخ والخطط[١]، أجاد اللغتين الفرنسية والإنكليزية. كتب وألف ونشر كتباً ومقالات في المجلات والصحف فكانت أعماله بارزة يُشار إليها بالبنان منها بالاشتراك مع الآخرين مثل (دليل الجمهورية العراقية) وغيره، ومنها من جهده ونتاجه الشخصي منها[٢]:

١- أصول تحقيق النصوص.

٢- دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم.

٣- دليل خارطة بغداد قديمًا وحديثاً.

٤- المباحث اللغوية في العراق.

٥- سيدات البلاط العباسي.

٦- الشخصيات العربية.
٧- عصر الإمام الغزالي.
٨- المعجم المستدرك (مخطوط).
٩- السلك الناظم لدفناء مشهد الكاظم عليه السلام.
١٠- رباعيات حسين قدسي نخعي، ترجمها من الفارسية (مخطوط).
١١- ألف نهار ونهار ، ترجمه عن الفرنسية (مخطوط).
١٢- الشعور المنسجم في الكلام المنتظم، ديوان شعره (مخطوط).
وغيرها كثير من المطبوع والمخطوط[٢].

أما تحقيقاته فكانت للكتب:

١- مختصر الساعي لابن الدبيثي.
٢- الحدود في النحو.
٣- تلخيص مجمع الآداب، لابن الفوطي.
٤- تكملة إكمال الكمال لابن الصابوني.

أما المجلات التي كتب فيها مقالاته وبحوثه القيمة فهي:

١- العرفان اللبنانية.
٢- مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق.
٣- مجلة لغة العرب.
٤- مجلة المجمع العلمي العراقي.
٥- مجلة الغري النجفية.
٦- مجلة البيان النجفية.

أثنى عليه من انتفع من علمه خصوصاً العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني، حيث وردت أكثر من مرة في كتاب الغدير عبارة (كتب إلينا الدكتور مصطفى جواد...)[٤] مما يدل على اعتماد الأميني على رأيه، فقد جعله مصدراً مهماً في تصحيح عدد من المعلومات التاريخية.

كما شكره العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني في معرض ممن آزره بالملاحظات القيمة ونبهه إلى ضرورة تقصي صحة المعلومة حينما نشر مصطفى جواد تصويباته على صفحات مجلة البيان[٥].

توفي مصطفى جواد ببغداد سنة ١٩٦٩م/١٣٨٩هـ، وقيل سنة ١٩٧٠م[٦] وقد نعاه الكاتب عبد القادر البراك في مقال نشر في جريدة الجمهورية حيث قال في بعض منه: (كما يخر المجاهد الشهيد في المعركة فيرضي ربه وشعبه، خرّ الدكتور مصطفى جواد صريعاً في ميدان الجهاد العلمي والأدبي والتاريخي دون أن تصرفه أوصاب المرض وأوجاعه عن ملازمته البحث والتحقيق بروح الطالب المثابر الدءوب، وبخلق العالم المتواضع الصبور، وبتجرد الصوفي الذي يقدم ذوب نفسه وقلبه للناس وهو قرير العين مستريح الضمير، فلا غرو أن يستشعر الجميع عظم الخسارة فيه وعدم سهولة التعويض عنه ....)[٧].

وقد نقل جثمانه إلى مدينة النجف الأشرف ليوارى الثرى عند سيد الوصيين أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام ليدفن في مقبرته المطلة على شارع كربلاء، في الركن المقابل لمحطة تعبئة وقود الكرار، ومقابل مطعم الواحة الجديد، بامتداد كراج النقل الداخلي الحالي، والآن مقبرة هذا العالم الفاضل ما هي إلا خربة أو لنقل مستودعًا للأتربة وبقايا الأعشاب وما يتساقط من الأشجار فتسحبه الرياح حيث فناء المقبرة، والمقبرة عبارة عن فسحة مستطيلة يحيط بها جدار قديم مهدم من بعض أركانه، وتطل على الشارع بواسطة باب حديدية أخذ الصدأ منها كل مأخذ.

يقع قبر مصطفى جواد في منتصف المقبرة وهو عبارة عن دكة تناثرت أحجارها فبقي بعضها متماسكًا بفعل ما بقي من كتلة الإسمنت التي تحيطها لتعطي إشارة على تعيين القبر قبل أن يندرس، وخلف قبر مصطفى جواد هناك خمسة قبور: لولده فائق وولديه اللذين استشهدا في بغداد إثر موجة القتل الطائفية التي اجتاحت بغداد سنة ٢٠٠٧ وقبرين آخرين.

الشعوب التي تسكن كوكبنا ترى في العلماء قديسين فينصبون لهم مراقد تكرم أشخاصهم ويقيمون المهرجانات العامة لإبراز دورهم، أما مصطفى جواد فلم يوفِ له حتى الأكاديميون أنفسهم ممن تتلمذوا عليه وتعلموا منه واستفادوا من معارفه وكتاباته، فلم يعقدوا لفكره ودوره في خدمة العلم مؤتمراً أو حتى ندوة يجتمع فيها أقرانه وأصحابه وتلامذته فيستذكروا صفحات من عطائه، كذلك الإعلام بقنواته ومؤسساته وفضائياته التي تبحث هنا وهناك عن حديث أو حدث تحاول به ملء فتراتها الزمنية الفارغة غمطت مصطفى جواد حقه فلم تقدم فلماً وثائقياً أو حتى برنامجاً تعريفياً لسيرته ومسيرته. وإذا أغمضنا الجفن عن ذلك فما بال يد الإعمار لم تمتد

لتبني فوق مقبرته البائسة ولو ما يدلل على كونها تضم هذا الرجل المفكر الذي حمل هم الأجيال ولم يحمل همه أحد؟، ولعل ثمة من يشمّر عن ساعده ويلتفت إلى المرقد لا ليكرم عظاماً بالية، أو ليجعل القبر مزاراً تستدر فيه العبرات والأرزاق، بل ليكرم العالم الذي حل فيه، أو ليجلب انتباه المارة فيذكروا صاحبنا بقراءة سورة الفاتحة ليهدوها لنفس تعبت في حياتها لأجل لغتنا وتاريخنا وديننا، ولا شك أن هذه الروح مرفرفة في وادي السلام معقل الأرواح المؤمنة تدعو لمن يؤسس ويشيد ما يعيد الذكر بالتوفيق والغفران، إنها دعوة لكل من سمع فعمل بدءًا من رئيس الحكومة ومروراً بوزيري الثقافة والتعليم العالي وبمحافظ النجف وبالمحسنين الذين يسارعون للخيرات فيحيون آثاراً على وشك الضياع ■

(١) الزركلي، الأعلام، ٢٣٠/٧
(٢) المصدر السابق.
(٣) الفتلاوي، المنتخب من أعلام الفكر والأدب، ص٦٥٨.
(٤)الغدير، ٥١/٦.
(٥)الذريعة، ٣٩٩/٦.
(٦)الزركلي، الأعلام، ٢٣٠/٧
(٧) الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، ٢٥٣/١.

فمتى اللقاء سليلَ أحمد ؟

عادل الكاظمي •
استوكهولم/ السويد

قالـــوا ســـلا من بعـــد طـــول فراق ... فأجابهـــم دمعـــي بـــذَوب مآقـــي
كيف الســـلوُّ وها أنا مِزَقُ الحشـــى ... أجري علـــى الخدّين جَـــرْيَ عِتاق
لا تحســـبوا صمت الغريب ســـلامةً ... مـــن دهـــره أو موعـــداً لتلاقـــي
ولـــربَّ ســـائلةٍ ومـــلءُ جفونِهـــا ... دمـــعٌ وإشـــفاقٌ أأنـــت عراقـــي؟
أنـــا ذلك العربـــيّ مَغْرِبُ شمسِـــكم ... يُنمـــى إلـــيَّ ومطلـــعُ الإشـــراق
ومواطنـــي خيـــرُ البـــلاد وخيمتي ... أوتادُهـــا شُـــدّت علـــى الآفـــاق
أنـــا رِفْدُ هـــذا الخلق بـــل تاريخهم ... وتراثهـــم ومجامـــع الأخـــلاق
أنـــا كلّ ما تُســـدي الطبيعـــةُ من يدٍ ... بيضاءَ تحكي السّـــحْبَ في الإغداق
لكـــنَّ ـ والحســـراتُ كاد يذيبنـــي ... منهـــا شـــواظٌ دائـــم الإحـــراق
ـ صـــوتُ الضمير أجابنـــي لا ترتجي ... طيفـــاً فمـــا ترجـــو ســـريع لِحاق
جـــورٌ إلـــى بـــؤسٍ ورقّـــةِ حالـــةٍ ... يُبكـــى لهـــا بالمدمـــع المهـــراق
وإلـــى جـــوارِ الفقـــر تلقـــى نعمةً ... للحاكميـــن تجـــود فـــي الإنفـــاق
فـــي كل منتجـــع تملّـــك سَـــوْمَهُ ... زُرْقُ العيـــون عواجـــمُ الأشـــداق

هــنّ الحواكــمُ بالبــلاد وحكمها ... مــاضٍ بِجَــرْيِ المــوتِ والأرزاق

* * * * *

قالــت مخاطبتــي مقالاً فــي غنىً ... عــن ذكــره صونــاً لعهــد رفاقِ
إنّ الظــلامَ وإن تحكّــم بالسـنا ... لابــدَّ للأنــوار مــن إشــراق
ســننُ الحيــاةِ ـ وللحيــاة إرادةٌ ... عَــدْلٌ ـ تسـير بنــا لخير مَســاقِ
ســاووا الصفوفَ وحشِّدوا من بأسكم ... مــا يَســتذلُّ فــوارعَ الأعنــاق
ودعــوا التأفّــفَ إن مُعجَــزَةَ الفتى ... خَــوَرٌ يُميــت مواهــب الخــلّاق
هي فــي النفــوس كوامنٌ فــإذا غفا ... أمــلٌ تنفّــس آخــرٌ لتلاقــي
ويظــلّ لــي أمــل تفيّــأَ ظِلّــهُ ... قلــبٌ يكابــد لوعــة العشّــاق

* * * * *

فمتى اللقاء ســليلَ أحمدَ فالحشــى ... جمــر يســجّر مدمــعَ المشــتاق
عجّلْ فُديتَ فما اصطبــاركَ فالهدى ... يشــكو من الباغيــن ضيــق خِناقِ
هــذي رســالتكم أضــاع تراثَهــا ... فكــرٌ يُســاس بعصبــة مُــرّاق
هــذي بقيّتكــم رهينــة معشــرٍ ... مــن قبــلُ خانــت ذمّــةَ الميثاق
والدين يدعــو المســلمين فلم يجد ... فيمــن دعــا عونــاً لمحق شــقاق
متفرّقيــن تفــرُّقَ الأهــواءِ ... متباينيــن تبايــن الأذواق
فانهــض فديتك يــا ســليلَ محمد ... فالــذل يرســم لوحــة الإخفــاق
طــال انتظــاركَ فالمدامــع قُرِّحت ... والقلــب يشــكو حرقة الأشــواق
يــا مــن بــراك الله مــن أنــواره ... هــلا تــؤوب لعــودةٍ وتلاقــي؟
صلى عليــك اللــه يا ثــار الهدى ... ما شــعَّ منــك النــور فــي الآفاق

* * * * *

الأدب النجفي

وأثره في الحفاظ على اللغة العربية

أ. م. د. عباس علي الفحام •
كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

ينابيع

لا ريب في أن لتاريخ النجف الأشرف أثرًا واضحًا في صون لغة الضاد وحمايتها خاصة في القرنين الماضيين الذين شهدا سياسات تهميش اللغة من جراء الاحتلال العثماني مثلما شهدا تنامي الحركة العلمية بمختلف أشكالها الدينية والأدبية.

النجف هضبة عالية يحيطها من جهة الغرب البحر ومن جهة الشرق البر، وتقع في الوسط الغربي لحوض الفرات، وتعني في اللغة: التل أو شبهه، قال الزبيدي في تاج العروس: (النجف والنجفة مسناة بظاهر الكوفة. تمنع ماء السيل أن يعلو مقابرها ومنازلها،.. والنجف قرية على باب الكوفة، قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

ما إن رأى الناسُ في سهل وفي جبل
أصفى هواءً ولا أغذى من النجفِ
كأن تربته مسكٌ يفوح به
أو عنبر دافه العطارُ في صدفِ

.. وهي قشور الصليان)[1].

وتبدي الدراساتُ العلميةُ المحققة أن هذه المدينة مرسى سفينة نوح عليه السلام. وهي بعد مدينة عربية عراقية ضاربة جذورها في تاريخ الحضارة الإنسانية يمكن تجلّيه من أسمائها المتعددة التي تحكي قصة ماض مزدهر لهذه المدينة، فاسمها القديم بانقيا - كما ذكر الحموي في معجم البلدان ج٢: وتعني المائة نعجة في النبطية - وكان إبراهيم عليه السلام في مسيره نحو بناء بيت الله الحرام قد مر بأهلها، فأمنوا ليلة مبيته عندهم، وكان يزلزل بهم كل ليلة

إلا ليلة مبيت النبي إبراهيم بينهم، فطلبوا منه المكوث عندهم، فرفض واشتراها بمائة شاة والشاة تعني(نقيا) و(با) تعني المائة في لغتهم، واشترط على أهلها أن يتخذوها دار ضيافة للعابرين المسافرين.

ومن أسمائها الذكوات البيض وخد العذراء، وذكر أنها كانت قبل الإسلام تعد ضمن حضارة الحيرة، ومكانًا لدور العبادة، فانتشرت فيها الأديرة وأسماؤها محفورة في ذاكرة تاريخها (وأهلها في ذلك العهد عند شيوع النصرانية نصارى من النسطورية، وهم من العرب الأقحاح، ولم تزل بعض الأديرة موجودة فيه حتى بعد انتشار الإسلام وعلو شوكته منها ما هو في النجف ومنها ما هو مشرف عليها كدير مارت مريم وهو دير قديم مشرف على النجف)، وقد تغنى بتلك الأديرة الشعراء قديمًا وحديثًا كقول الثرواني وهو شاعر ماجن لازم أديرة النصارى في الحيرة ووصف أعيادهم ورهبانهم:

بمارت مريم الكبرى
وظل فنائها فقف
فقصر أبي الخصيب المشرف
الموفي على النجف
فأكناف الخورنق والسدير ملاعب السلف
إلى النخل المكمم
والحمائم فوقه الهتف[٢]

وكقول أبي نؤاس واصفًا دير حنة من بعض أديرة الحيرة التي يقصدها المجان بقوله:

يا دير حنة من ذات الأكيراح
من يصح عنك فإني لست بالصاحي[٣]

ومن الشعراء المحدثين قول الشيخ الوائلي متغنيًا بالنجف:

وللدوالي بأرباض السدير بها
طيف من ابن عدي أو سرى دعد
ودير هند وقد مرت كواعبه
تمشي إلى الكرخ في دل وفي أود
حيث الشعانين تستهدي مواكبه
طريقها بنهود للسما نهد(٤)

وحين جاء الإسلام أصبحت هذه المدينة مكانًا لمدافن الموتى فكانت تسمى جبانة الكوفة أو ظهر الكوفة، وكتب تاريخها من جديد حين اتخذ الإمام علي عليه السلام الكوفة عاصمة لخلافته حيث أنصاره المخلصون منها على الرغم من شدة الفتن المحدقة بأهلها، وقد سجلت تاريخًا متذبذبًا في ذلك كله.

ولا ريب في أن الكوفة بعد ذلك أصبحت من الأمصار الإسلامية المهمة في مختلف العلوم العربية والفقهية والعلوم التجريبية كالكيمياء، وظهر منها علماء كبار رفدوا الإنسانية بشكل عام والإسلام بشكل خاص فيما ذكرنا من مختلف العلوم. ومنذ وصية الإمام علي عليه السلام بأن يتخذ من أرض النجف مدفنًا سريًا له عام (٤٠) للهجرة حتى أصبحت أرضًا لمقامات الأئمة من ولده عليهم السلام كالإمام علي بن الحسين والإمام الباقر والإمام الصادق عليهم السلام، حتى إذا اكتشف قبر الإمام علي عليه السلام زمن هارون الرشيد في الربع الأخير من القرن الثاني أمست لهذه البقعة دالة عظيمة لاذ بجوارها الناس فاتخذوها مسكنًا ومدفنًا تقربًا واحتسابًا، وفي القرن الرابع الهجري هاجر إليها الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ) شيخ الطائفة من جراء الفتن الطائفية في بغداد فجعل منها مقرًا لبث علوم الفقه الجعفري، ومنذ ذلك التاريخ والنجف مقر دائم لنشر علوم أهل البيت عليهم السلام وفقهه أصبح من المنارات العلمية التي وهبها الله تعالى لهذه البقعة المباركة. وهكذا أعطيت زخمًا جديدًا من الحياة تمثل الأول بقبر أمير المؤمنين عليه السلام، والثاني بوجود المنبر الدائم لتدريس علم أهل البيت ونشر ثقافتهم وسمي بالحوزة العلمية الشريفة. والنجف اليوم اكتسبت لذلك بعدًا عالميًا لافتًا للأنظار، بسبب بعدها عن التطرف والتعصب الأعمى، مع شدة محافظتها على الثوابت الإسلامية المتمثلة بفقه أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم المحمودة لدى جميع المسلمين، فكان الخطاب الديني المتمثل بالمراجع الدينية العليا يتسم دائمًا بالوفاق الإسلامي وقيم التسامح وقبول الرأي الآخر ويرحب بالحوار العلمي الهادف دائمًا من الأديان والمذاهب الأخرى مهما بدا متقاطعًا مع الثابت النجفي، وهو بعد أي الخطاب الديني يتفاعل كثيرًا مع هموم العالم الإسلامي وأحداثه وفي ذلك كله شهادات كثيرة وفتاوى مسجلة.

إن مقومات عالمية النجف تتضح، إذن، مما امتلكت من شواهد مادية ومعنوية حية يمكن حصرها بالنقاط الآتية:

١- المرقد العلوي الطاهر المقدس لجميع المسلمين وغير المسلمين.

٢- وجود مقر الحوزة العلمية والمرجعية العليا فيها لطائفة المسلمين الشيعة.

٣- مقبرة وادي السلام وهي الأضخم والأقدم في العالم، وقد ضمت الملوك والأمراء من شتى العصور ومن مختلف بقاع الدنيا.

٤- ولادة القامات الشامخة في مجال الفقه والأدب واللغة وعلى طول تاريخها

قديمًا وحديثًا وانتشارهم في بقاع الأرض بشكل مؤثر وفاعل.

٥- تفشي قيم الأصالة والتسامح في الخطاب الديني الملتزم لدى علماء هذه المدينة وأبنائها.

٦- ديمومة السياحة الدينية فيها يجعلها مقصد الكثيرين من الناس من مختلف بلدان العالم.

ارتبط تاريخ النجف بمعلمين رئيسين هما: المرقد العلوي الطاهر.

والثاني تبع للأول وهو: مركز الدراسات الدينية أو الحوزة العلمية الشريفة، وهو تبع لأنه أصبح - بسبب احتضان تربة النجف لقبر أمير المؤمنين عليه السلام- مركزًا لدراسة العلوم الإسلامية لاسيما علوم أهل البيت وبثها في أنحاء العالم الإسلامي، منذ عهد الشيخ الطوسي في القرن الخامس الهجري وإلى هذا اليوم. والعلوم الدينية المختلفة مثل الفقه والأصول وعلوم القرآن والدراسات الأدبية وعلوم العربية كالصرف والنحو والبلاغة كلها تدرس بالعربية الفصحى درسًا وأداءً وإملاءً وكتابةً، في مدارس علمية مبثوثة هنا وهناك في الأنحاء المتفرقة للمدينة القديمة المسورة، فضلًا عن البيوتات الخاصة التي تدرس فيها تلك العلوم. ولذلك النجف القديمة أشبه بجامعة علمية كبيرة تبدو عليها هيبة العلم منذ ساعات الصباح الأولى، إذ يلفها صمت لا يسمع فيه غير صوت الدرس العلمي. ومن هنا كثرت في هذه المدينة الصغيرة المكتبات والجلسات العلمية والأدبية، حتى أصبحت منبعًا ثرًا للعلماء في الفقه والأصول والأدب والفلسفة وعلم الكلام.

وكان حظ الأدب والشعر كبيرًا، إذ لم تكن الحوزة العلمية مقصورة على الفقه وحده، فقد كان زعماؤها قامات رفيعة في فن الشعر، مثل السيد مهدي بحر العلوم والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والقائمة تطول من الرجال الأعلام الذين حفظوا لنا فنون العربية الرفيعة في وقت كان للترك وسياستهم في تهميش العربية على أشد مستوياتها. كانت النجف تغلي بالثقافة، لاسيما في عصر السيد مهدي بحر العلوم في القرن الثاني عشر الهجري الذي حفل بعلماء كانت لهم بصمة واضحة على هذه المدينة المقدسة من جهتين:

الأولى: من جهة الكثيرة المميز للعلماء والمفكرين والشعراء، والثانية: من جهة ما تركوا من آثار علمية سجلت فنون العلم المختلفة. ومن هؤلاء الأفذاذ المميزين في هذا الميدان تلميذ السيد بحر العلوم الشاعر السيد صادق الفحام الأعرجي الحسيني والطبقة المشهورة من العلماء والشعراء، ولشدة ولعهم بالشعر وطرائف الأدب سميت بعض مطارحاتهم بمعركة الخميس الأدبية المشهورة في النجف، لاسيما معركة الخميس الثانية الأشهر والأكثر صيتًا، وأعضاؤها كما ذكرهم السيد بحر العلوم في (الفوائد الرجالية) هم: السيد مهدي بحر العلوم وفريق من تلاميذه وهم: الشيخ جعفر كاشف الغطاء والشيخ حسين نجف والسيد صادق الفحام والسيد أحمد العطار والشيخ علي زين الدين والشيخ محمد رضا النحوي والشيخ محمد علي الأعسم والحاج محمد رضا الأزري وملا يوسف الأزري والسيد إبراهيم العطار والشيخ محمد بن يوسف الجامعي والسيد أحمد القزويني والشيخ مسلم بن عقيل الجصاني والسيد محمد

زيني.

ولو انتقلنا إلى العصر الحديث وظهور طبقة جديدة من الشعراء المؤثرين من طبقة المثقفين وعلماء الدين لرأينا تواصلًا رائعًا لهذه المدينة في كثرة شعرائها وعمق أثرهم في البيئة الشعرية محليًا وإقليميًا وعالميًا، فمن هذه المدينة نبغ الشبيبي والصافي النجفي والشيخ عبد المنعم الفرطوسي والسيد رضا الهندي وأخيه السيد باقر الهندي والاهم من هؤلاء السيد الحبوبي والشيخ جعفر الشرقي والشيخ محمد رضا الشبيبي والشيخ محمد جواد الشبيبي والشيخ الوائلي والسيد مصطفى جمال الدين والدكتور عبد المهدي مطر والدكتور محمد حسين الصغير وغيرهم الكثير مما يصعب علينا في هذا الملخص ذكرهم أو إحصاؤهم.

غير أن محمد مهدي الجواهري شاعر لا يشق له غبار في فن القول، فهو يعد متنبي العصر الحديث بحق. وظاهرة الجواهري ليست عابرة أو وليدة الصدفة بل ينبغي الوقوف عليها ودراستها وبيان أسباب نبوغ مثل هذه القامات التي لا تصدر عن غير هذه البيئة. وما زالت هذه المدينة إلى هذا اليوم ولودًا للمبدعين من قالة الكلام وفنونه، ولا ريب في أن لذلك كله أثره الواضح في قيادة المجتمع والتأثر بهم من جهة النظم بالقريض وإعلاء شأن الفصيح، ومن هنا كان الشعر العربي صاحب السيادة في تلك القرون الماضية على الرغم من العامية المتفشية بين الخاصة والعامة، ولكن الساحة الشعرية كانت للفصيح قبل الشعر العامي الشعبي، على عكس الحالة السائدة اليوم من انحسار الشعر العربي الفصيح وشيوع الشعر الشعبي وسيادته في كل وسيلة إعلامية وتلك ظاهرة خطرة على حياة العربية وفصاحتها.

ومن هنا تبرز أهمية الدعوة إلى ضرورة استرجاع سيادة الشعر الفصيح في الساحة الشعرية لعمق أثره في الالتفات إلى (العربية) وصيانتها خاصة على أيدي كبار رجال العلم في الحوزة الدينية لأنه بصوتهم يتأثر المجتمع أكثر ■

(١) تاج العروس / الزبيدي / ج١٢ ص٤٩١.
(٢) معجم البلدان / الحموي /ج٢.
(٣) نفس المصدر ج١.
(٤) ديوان الوائلي:١/ ١٠٢.

من نوادر القصص..

حدثنا أبو حامد أحمد بن علي بن الحسين الثعالبي قال: حدثنا أبو أحمد عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بالصفواني قال:

قد خرجت قافلة من خراسان إلى كرمان فقطع اللصوص عليهم الطريق وأخذوا منهم رجلًا اتهموه بكثرة المال ، فبقي في أيديهم مدة يعذبونه ليفتدي منهم نفسه وأقاموه في الثلج وملؤوا فاه من ذلك الثلج فشدوه ، فرحمته امرأة من نسائهم فأطلقته وهرب ، فانفسد فمه ولسانه حتى لم يقدر على الكلام .

ثم انصرف إلى خراسان وسمع بخبر علي بن موسى الرضا عليه السلام ، وأنه بنيسابور فرأى فيما يرى النائم كأن قائلا يقول له: إن ابن رسول صلى الله عليه وآله قد ورد خراسان فسله عن علتك فربما يعلمك دواء تنتفع به.

قال فرأيت كأني قد قصدته عليه السلام وشكوت إليه ما كنت دفعت إليه وأخبرته بعلتي، فقال لي : خذ من الكمون والسعتر والملح ودقه وخذ منه في فمك مرتين أو ثلاثا فإنك تعافى.

فانتبه الرجل من منامه ولم يفكر فيما كان رأى في منامه ولا اعتد به حتى ورد باب نيسابور فقيل له : إن علي بن موسى الرضا عليه السلام قد ارتحل من نيسابور وهو برباط سعد، فوقع في نفس الرجل أن يقصده ويصف له أمره ليصف له ما ينتفع به من الدواء، فقصده إلى رباط سعد فدخل إليه فقال له : يا بن رسول الله كان من أمري كيت وكيت وانفسد علي فمي ولساني حتى لا أقدر على الكلام إلا بجهد، فعلمني دواء انتفع به.

فقال الرضا عليه السلام: ألم أعلمك؟ اذهب فاستعمل ما وصفته لك في منامك.

فقال له الرجل : يا بن رسول الله إن رأيت أن تعيده علي.

فقال عليه السلام: خذ من الكمون والسعتر والملح فدقه وخذ منه في فمك مرتين أو ثلاثًا فإنك ستعافى.

قال الرجل: فاستعملت ما وصف لي فعوفيت.

قال أبو حامد بن علي بن الحسين الثعالبي : سمعت أبا أحمد عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بالصفواني يقول: رأيت هذا الرجل وسمعت منه هذه الحكاية .

عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق، ج٢ ص٢٢٨

قصة قصيرة..

جراح فتيّة

بنت العراق •

ينابيع

حزم حقيبة أغراضه واستأذن والديه ويمم نحو وطنه. لم يفكر يوماً بالعودة!!.. أيعود؟! بعد الذي رأى والجرح نديا لا يزال.. رغم مرور السنين والسؤال مثل ناقوس يدق في رأسه.. كيف؟.. ولماذا؟..

ولكن.. هناك أمر يجب أن ينجزه يؤرقه منذ سنوات.. ولم يجرؤ على ذلك إلا حين هبت نسائم الحرية على أرض وطنه.

وصل الأرض التي يشتاق.. وفي الحي الذي كان يسكن راح يتطلع إلى الأبنية ووجوه الناس حوله، وتمنى لو يستطيع تخيل وجه لصديق الصبا (علي) لو كان موجوداً..

كان لي نعم الصديق.. وإن حسدته أحياناً لأنه أذكى مني وأكثر تفوقاً في الدروس كما إنه يملك جواباً لأغلب الأمور.. كان سخياً سمح النفس وكم أتعب نفسه في شرح الفروض لي.

مرّ بملعب الكرة والشجيرات حوله.. يبدو أنها شاخت.. هل بكت على أبناء الوطن؟ ما الذي جعل عروقها خالية من معنى الحياة وإن جرى الماء فيها؟

كنا هنا في هذا الملعب.. أنا وعلي وشاب آخر.. نتبادل الكرات بانتظار بقية أقران اللعب.. لنبدأ التنافس.. قطع علينا المرح وقوف حافلة كبيرة.. جنود مسلحون أحاطوا بنا.. أصعدونا عنوة.. مزيج من الذهول والرعب تملكنا عندما رأيناها تعج بشباب مقيدين!! ساد الوجوم.. وأطبق الصمت. أمسكت

بيد علي وكأني أستمد منه ما يجعلني أفهم.. ماذا يجري..؟

مر على بيتهم القديم.. على بعد شارع واحد يقع بيت علي.. حار فكره.. ماذا سيقول؟!.. أمام الباب وقف متسمراً كمن يقف في حداد.. وغشي الظلام عينيه لحظات..

في سجن مظلم جلسنا ملتصقين.. تهرأت علينا ملابسنا من شدة الضرب.. لماذا يضربوننا؟؟ ماذا يريدون؟

لا نعرف كم يوماً مر!! أسبوعان.. أقل.. أو أكثر!! التصقت جلودنا بالعظام.. وغارت العيون بانتظار المجهول.. وأدركنا أنه لا خير فيما سيأتي.. ولكن سمعنا أن هناك محكمة واستبشرنا.. لابد وأن يعرفوا أننا لم نقترف شيئاً.

طرق الباب (كان عندما يطرقها يطل رأس علي.. يستمهله ثواني.. ثم يخرج متسللا هرباً من حرص والدته الشديد) فتحت امرأة شابة.. أخبرته أنهم انتقلوا. راح ينتقل ويسأل.. من مكان إلى آخر.

في باحة السجن احتشدنا بالعشرات.. وقف مع زمرته.. همهموا مع

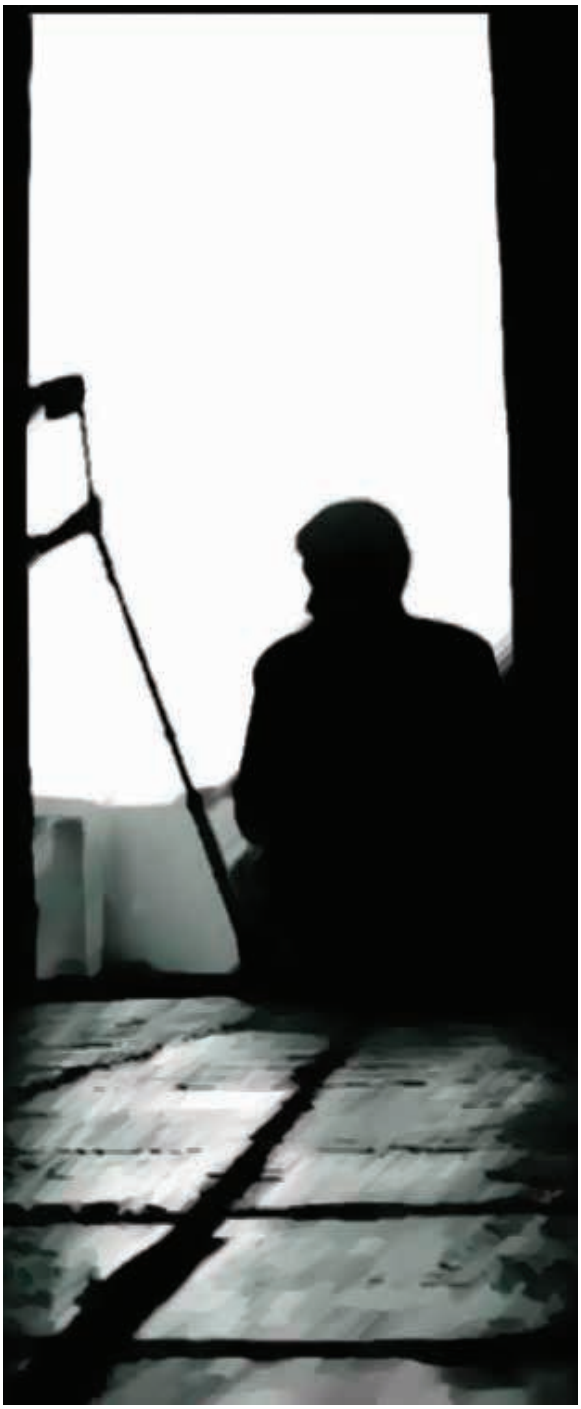

بعضهم.. ثم أعلن أحدهم الحكم.. إن الخونة مصيرهم الإعدام.!!

استقل سيارة إلى حي آخر وقد عزم أن يعثر عليهم..

حشرونا في سيارات لم تصلح للبشر يوماً ويمموا بنا شطر الصحراء.. من بين الدموع والبكاء أخذ الناس يوصي بعضهم الآخر.. بأهله.. بأبنائه.. بوالديه.. عسى أن يكون لأحدهم نصيب من الحياة.. كنت أرتعد وأنشج.. وذراع علي أحاطت بي.. قلت لا أريد أن أموت.. قل لأهلي إنهم قتلوني.. راح ينظر إلى البعيد وأوصاني بكلمات لازالت ترن في سمعي حتى اليوم.

وصل مقهى الحي.. كان يستفهم عما يريد.. بينما انشغل معظم الموجودين بالنظر إلى التلفزيون الذي يعرض صوراً لأول مقبرة جماعية اكتشفت.. بقايا أجساد بعضها فوق بعض.. لم يستطع النظر أكثر.. ملكته الرهبة.. واقشعر بدنه.. وأطرق مغالباً دموعه.

على شفا حفرة عميقة وقفنا طوابير من رجال وشباب وفتية لم نبلغ حتى.. رصاص الغدر يرشقنا بقسوة ليس لها مثيل.. وتهاوت تلك الأجساد الطاهرة وعلت الأرواح تشكو الظلم إلى بارئها.. أزيز الرصاص يصم الأسماع.. وبلغت القلوب الحناجر.. خفت فلم أعد أدرك ما حولي.. كف علي في قبضتي.. وساقاي ترتعد.. وسقط.. وأسقطني بسقوطه.. ولحقتني رصاصة فخدشت جبيني..

وأهيل التراب..

نظر إلى الشمس إذا بها تسلك نحو الغروب مودعة.. مؤملة بصباح جديد ملؤه الأمل.

على سماء أشد حمرة فتحت عيني إنه الأصيل.. كان جسده فوقي.. ودمه على صدري؛ أيقظته.. صرخت باسمه وأنا أنشج دون جدوى.. أزحت التراب وقمت أتحسس أعضائي.. كان دمي يغطي وجهي.. ودمه غطى جسدي كله؛ أخذت أصرخ وأنا أركض هلعاً.. الهدوء يعم المكان.. ليس هنا من يسمع.. حتى خارت قواي وجف فمي.. وسقطت.. وانسدل الليل بحزن.

ها هو هناك منزلهم.. جف فمه.. وابتلع ريقه.. شعر بالعطش عرج على دكان قريب.. ناوله رجل عجوز الماء.. راح يحدق في ملامحه.. ابتسم العجوز.. وأخذ يجاذبه الحديث.. ويتكلم بإسهاب عن السياسة وما تؤول إليه البلاد.. كان يستمع ساهما.. والعجوز مستمتعاً بإطالة الحديث.

هل أنا في الجنة؟.. هل مُت؟.. ليس بعد.

ناولني رجل مسن شربة لبن.. قال: اشرب. بكيت قلت له: قتلوهم.. قتلوا علياً معهم.. رفع سبابته إلى فمه وفي عينيه نظرة رعب وإنذار وهو يقول بهمس: (ااش). ومن يومها لم أتحدث لأحد.. اعتصرني الألم.. وشاب القلب الذي لم يبلغ الشباب.. تعافيت عنده وأسرع أهلي بالهجرة خوفاً عليَّ.

خرجنا خائفين من وطننا إلى اللاوطن.. وصورة علي مرملاً فوقي لا تفارقني كأنه يحميني لأبلغ وصيته.

.. صغاراً كنا.. أكبر همومنا الكرة.. ونضحك ملء أفواهنا لأمر تافه.. وأحلامنا تملأ كتباً ومجلدات.. لقد

عرفت علياً منذ سنوات الابتدائية.. ولا أعرف بأي ذنب استحق الموت.. كيف؟ ولماذا؟..

كنت خائفاً حتى من السؤال.

وأخيراً وقف أمامها.. يحاول أن يسكب لوعته بين يديها.. وأن يبعثر الذكريات الدفينة.. ويبكي معها.. وينوح.. حتى يغسل جراحه بدموعه.. تأملها كمن يتأمل طوداً شامخاً.. راح يقرأ وجهها بينما أصابعه تتحسس ندبة في جبينه تأبى إلا أن تذكره بما جرى.. حفرت السنون على محياها أخاديد.. أرهقها الأسى والانتظار.. ثقل حملها.. وتقوس ظهرها.. أغرقتها الأيام بالمرارة.. وسلبتها الحياة كل جميل..

لكنها ما زالت تحيا على أمل عودته ولقياه من جديد.. وتتلهف لكل طارق.. لعله هو..

جلس قبالتها.. قال لها: كنت صديقه المقرب..

استعبرت وهي تنظر إليه..

لم يمنع الدموع.. سالت على وجنتيه وذقنه..

قال لها من بين عبراته المتتالية: أوصاني بكِ.. قال: قل لأمي أن تصبر ■

الحلم وكظم الغيظ

سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يشتم قنبرًا، وقد رام قنبر أن يرد عليه، فناداه أمير المؤمنين عليه السلام :

(مهلًا يا قنبر، دع شاتمك مهانًا، ترضي الرحمن، وتسخط الشيطان، وتعاقب عدوك، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه).

الامالي، الشيخ المفيد ص١١٨

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

(إذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان، فيقولان للسفيه منهما: قلت وقلت، وأنت أهل لما قلت، ستجزى بما قلت. ويقولان للحليم منهما: صبرت وحلمت، سيغفر الله لك، إن أتممت ذلك. قال: فإن رد عليه ارتفع الملكان).

روضة المتقين، المجلسي ص١١٤

الشاهد الشعري في الكتب الحديثية الأربعة

كتاب الكافي أنموذجاً

أ. م. د. عبد الإله العرداوي •
كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

ينابيع

لقد عكف المسلمون وفي مقدمتهم الشيعة الإمامية على تدوين علم الحديث وترتيبه في مصنفات قيّمة ومن ثم نقله إلى الأجيال اللاحقة، وهم بذلك وضعوا قواعد الشريعة وأضفوا عليها سمة الخلود والدوام.

ومن أجلّ الكتب الحديثية التي جمعت الأحاديث وهذبتها ورتبتها على وفق مرويات أهل البيت عليهم السلام الكتب الأربعة المشهورة: الكافي للشيخ الكليني (ت٣٢٩هـ) ومن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) وتهذيب الأحكام والاستبصار للشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، وكتاب الكافي خلاصة آثار الصادقين وعيبة سنتهم القائمة، فهو كاف في علمه، وكاف لشيعة آل البيت عليهم السلام، ومن هنا تأتي الأهمية الكبرى لكتاب الكافي بوصفه أحد الموسوعات الحديثية الكبرى للشيعة، أما صاحب الكافي الشيخ الكليني فهو من العلماء الأعلام وسيرته شاعت في الآفاق وقد نجترئ عليه بأن لا نمهد لسيرته وفضله، لكن كتب أخرى ودراسات كثيرة قد أفاضت في ذلك، ولعلنا بذلك نحيل القارئ إليها[1].

لقد ضمّ كتاب الكافي فضلاً عن مرويات أهل البيت عليهم السلام موضوعات ومحاور شتى منها الأشعار التي ذكرها الشيخ الكليني بوصفها شاهداً على ما يريده في مقامات وموارد متعددة، وهذه محاولة منا لتوثيق تلك النصوص الشعرية

بتخريجها من مظانها قدر الإمكان، ومن ثم تحليلها وربطها مع ما سيقت إليه كشاهد لمواضع مختلفة أوردها الشيخ الكليني كلاً في مستقره، وقد تناولنا الجوانب التالية:

١ـ الجانب اللغوي:

وفيه يسوق لنا الشيخ الكليني أبياتاً هي شواهد لقضايا تتصل باللغة، ومن ثم يحاول الربط بين الدلالة اللغوية والعقائدية وصولاً إلى موطن الشاهد والدلالة الجامعة لها، ومن الأبيات ما ذكره في باب تأويل الصمد من كتاب التوحيد:

قال أبو طالب في بعض ما كان يمدح به النبي صلى الله عليه وآله من شعره: (من الطويل)

وبالجمرة القصوى إذا صمدوا لها
يؤمون رضخاً رأسها بالجنادل[٢]

وقال بعض شعراء الجاهلية شعراً: (من البسيط)

ما كنت أحسب أن بيتاً ظاهراً
لله في أكناف مكة يصمد[٣]

وقال ابن الزبرقان[٤] (من البسيط):

ولا رهيبة إلا سيد صمد[٥]

وقال شداد بن معاوية: (من البسيط)

علوته بحسام ثم قلت له:
خذها حذيف فأنت السيد الصمد[٦]

والأبيات شواهد على معنى الصمد في اللغة[٧] وهذا المعنى له ماهيات دلالية رحبة تصل قريباً من عشرين معنى[٨] ينطلق الشيخ الكليني من خلالها للربط بين المفهوم اللغوي والعقائدي[٩] وصولاً

إلى إمكان إدخال جميع تلك المعاني في الماهية المركزية العقائدية لاتصافه (جلّ ذكره) بجميع الصفات الكمالية، ودلالة على كونه مبدأ لكلية الصفات.

كما يخلص الشيخ الكليني إلى فساد القول: في أن تأويل الصمد: هو المصمت الذي لا جوف له[١٠] من خلال مناقشته وتعريته من أن يكون صفة للّه جلّ ذكره مستدلاً بآيٍّ من الذكر الحكيم وأخبار الأئمة عليهم السلام ولإتمام الفائدة يستدل بتلك الأبيات لتأكيد المراد، وبيان معنى الصمد في اللغة.

وتأسيساً على ما قيل: فإن اللّه عزوجل هو: (السيد الصمد الذي جميع الخلق من الجن والإنس إليه يصمدون في الحوائج، وإليه يلجأون عند الشدائد، ومنه يرجون الرخاء ودوام النعماء ليدفع عنهم الشدائد)[١١].

٢ ـ الجانب التاريخي:

وفيه يورد أبياتاً تعد أدلة تاريخية وحججاً دامغة يراد منها رفع التوهم الذي قد يتحصل عند بعض المغرضين، أو تكون دليلاً مضافاً إلى حقيقة تاريخية شائعة بين الناس، ومن تلك الأبيات ما ذكره الشيخ الكليني في كتاب الحجة باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته تحديداً، قال أبو طالب: (من الطويل)

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمداً
نبيّاً كموسى في أوّل الكتب[١٢]

وقوله: (من الطويل)

لقد علموا أن ابننا لا مكذّب
لدينا ولا يعبأ بقيل الأباطل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل[١٣]

وقد وردت هذه الأبيات شاهداً على من زعم أن أبا طالب كان كافراً ؟ فكانت ـ الأبيات ـ حججاً دامغة وأدلة تاريخية ساطعة تبطل تلك المزاعم وتهدها، تضاف إلى الحديث المشهور عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام قال: (إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك فأتاهم اللّه أجرهم مرتين)[١٤] فموطن الشاهد في الأبيات ملائم لمكان وروده في الكتاب وموضوعه الذي هو (الحجة).

وفي موضع آخر وفي باب مولد الإمام علي بن الحسين عليه السلام يروي لنا الشيخ الكليني بيتاً لأبي الأسود الدؤلي في الإمام علي بن الحسين(ع) هو: (من الطويل)

وإن غلاماً بين كسرى وهاشم
لأكرم من نيطت عليه التمائم[١٥]

وحجة البيت أبين من أن نجلو غبارها، فهي الشمس الساطعة في كبد السماء، وصدق ما قيل في الإمام علي بن الحسين عليهما السلام أنه: (ابن الخيرتين، فخيرة اللّه من العرب هاشم، ومن العجم فارس)[١٦] فنوره جمع بين خيرة أهل الأرض من العرب هاشم ومن العجم فارس وتحديداً في ابنة يزدجرد آخر ملوك فارس.

٣ـ الجانب الأخلاقي:

ومراده بيّن يتصل بالقيم الأخلاقية فكانت الأبيات المستشهد بها بياناً وتأكيداً لتلك القيم، ومنها ما أوره الشيخ الكليني في كتاب الإيمان والكفر باب الاستغناء عن الناس، قال حاتم الطائي: (من الوافر)

إذا عزمت اليأس ألفيته الغنى
إذا عرفته النفس والطمع الفقر[١٧]

فطلب الحوائج من الناس نهب للعزّ،

واليأس منه عزّ المؤمن في دينه، والطمع هو الفقر الحاضر، ولنكن كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم، فيكون الافتقار إليهم في لين كلامك، وحسن بشرك، ويكون حسن استغنائك عنهم في نزاهة عرضك، وبقاء عزّك)[١٨] فالبيت مصداق من المصاديق لهذا الباب (وإن لم يذكره للاستشهاد، بل للشهرة والدلالة على أن ذلك مما يذعن به العاقل وإن لم يكن من أهل الدين)[١٩].

وفي مكان آخر من الكتاب نفسه في باب الكتمان من باب التقية حصراً نرى الشيخ الكليني يستدل بقول الشاعر: (من الطويل):

فلا يعدون سرّي وسرّك ثالثاً
ألا كل سرّ جاوز اثنين شائع[٢٠]

ليكون برهاناً مضافاً لهذا الباب، فاستحالة كتم السر لأكثر من اثنين شيوع له وتجاوز لآثاره المترتبة بفعل الشيوع، ولعل المراد باثنين هو الشفتان وهو أقرب للمعنى وألطف، لأنهما من مخارج التكلم وأداة من أدواته، وعليه فمن كان على تقية وكتم أمر دينه وولاءه لأهل البيت عليهم السلام في الدنيا أعزّه الله به في الدنيا، وجعله نوراً بين عينه في الآخرة يقوده إلى الجنة، ومن أذاعه أذله الله به في الدنيا، ونزع النور بين عينيه في الآخرة، وجعله ظلمة تقوده إلى النار، فلا دين لمن لا تقية له[٢١].

ومنه ما ورد في كتاب الزكاة باب من أعطى بعد المسألة، قال الشاعر: (من الطويل)

متى آته يوماً لأطلب حاجة
رجعت إلى أهلي ووجهي بمائه[٢٢]

فالستر في قضاء الحاجة أحفظ لماء وجه السائل، فالمرء قد يشعر بذل السؤال عند قضاء حاجته، والمستتر بها مغفور له، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (المستتر بالحسنة يعدل سبعين حجة

والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له)[٢٣].

٤ـ الجانب الاجتماعي:

وفيه موارد مختلفة تتعلق بالحياة الاجتماعية وعلائقها المختلفة، وما تفرزه من قيم وأعراف اجتماعية يعتد بها، ويكون لها قصب السبق بما جُبِل عليه الإنسان في كونه كائن اجتماعي، ففي كتاب المعيشة

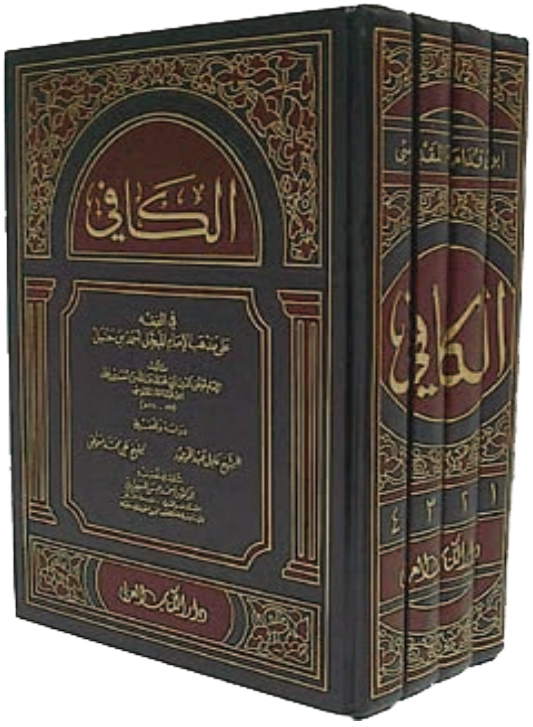

باب كسب النائحة يورد لنا الشيخ الكليني قول أم سلمة نادبة ابن عمها الوليد بن المغيرة: (من مجزوء الكامل)

أنعي الوليد بن الوليـ
ـد أبا الوليد فتى العشيره
حامي الحقيقة ماجد
يسمو إلى طلب الوتيره
قد كان غيثاً في السنيـ
ـن وجعفراً غدقاً وميره[٢٤]

فندب الميت بأحسن أوصافه وأفعاله والبكاء عليه جائز، وقيد في المشهور جواز نوح النائحة بحق، أي إذا كانت تصف الميت بما هو فيه من الصفات، فضلاً عن أن صوتها لا يسمعه الأجانب[٢٥].

وفيه من كتاب النكاح باب أصناف النساء قول الشاعر: (من الطويل)

ألا إن النساء خلقن شتى
فمنهن الغنيمة والغرام
ومنهن الهلال إذا تجلى
لصاحبه ومنهن الظلام
فمن يظفر بصالحهن يسعد
ومن يغبن فليس له انتقام[٣٦]

الذي يذكر فيه أصنافهن، فمن رام أن يظفر بصالحتهن كي يتزوج بها فلا بد أن تنسب إلى الخير وإلى الخلق القويم، تعين زوجها على دهره ليهنئ في دنياه وآخرته، ولا تعين الدهر عليه ليشقى فيهما ويبتلى.

٥ ـ الجانب الحربي:

وفيه يتغنى الشعراء في الحرب بفنون الشعر العربي من فخر ورثاء ومديح، كقول أبي جهل وهو يفتخر بنفسه: (من الرجز)

ما تنقم الحرب الشموس مني
بازل عامين حديث السن
لمثل هذا ولدتني أمي[٢٧]

أورد الشيخ الكليني هذه الأبيات في موضوع أكرم وأعز وأذل وقعة عند العرب، والافتخار بالنفس جلي واضح في هذه الأبيات، فالحرب لا يقدرها من لا يقدر عليها، فهي بدت كالفرس الشموس التي تمنع أي أحد أن يركبها فاستعير لها ـ الحرب ـ ذلك من باب الإهلاك والشدة وعدم أمن أي أحد من مكارهها، لكنه مع ذلك كان مستجمعاً للقوة كالبازل من الإبل أي الذي طلع نابه وكملت قوته.

ونظير هذه الأبيات أبياتاً أخرى تسمو رفعة وتعلو شأناً، لأنها صادرة من رجل يبرز سيفه ليجهز عدوه إلى النار، ومكانته أعلى من أن توصف بأسطر قليلة، قال الإمام علي عليه السلام: (من الرجز)

أنا ابن ذي الحوضين عبد المطلب
وهاشم المطعم في العام السغب
أوفي بميعادي وأحمي عن حسبي[٢٨]

ومن هذا الجانب قول طالب بن أبي طالب: (من الرجز)

يا رب إما يغزون بطالب
في مقنب من هذه المقانب
في مقنب المغالب المحارب
بجعله المسلوب غير السالب
وجعله المغلوب غير الغالب[٢٩]

فالأبيات تشير إلى خروج طالب بن أبي طالب مع المشركين في بدر لكن هواه كان مع النبي صلى الله عليه وآله، وكان ممن رجع إلى مكة، ولما كان المشركون من أرباب الفصاحة والبلاغة فهموا مراده، وأنه كان معنياً بالتورية، فلذلك أمروا بردّه لئلا يفسد عليهم كما أشار إليه عليه السلام بقوله: (فقالت قريش: إنَّ هذا ليغلبنا فردوه)[٣٠]

خوفاً من أن يلحق بأهل الإسلام ويوقع التفرقة والشقاق بين المشركين.

٦ ـ جانب وضعي:

وفيه تتصل الأبيات بأحاديث وروايات موضوعة، أو رواة وضّاعون، كما في حديث جارية الزبير، وهو حديث موضوع جداً والواضع أحمد بن هلال الملعون على لسان العسكري عليه السلام والبيت هو: (من السريع)

إن عادت العقرب عدنا لها
وكانت النعل لها حاضره[٣١]

والبيت مثل مشهور يضرب لرجل عرف بالمطل والتسويف[٣٢] وهو كالحادثة منبوذ في موقعه تنطلق منه السموم والانحطاط باتخاذ العقرب والنعل معلمان لها.

وقد يرتبط البيت بحديث لراوية وضّاع، كما في قول كثير عزة: (من الطويل)

ألا زعمت بالغيب ألّا أحبها
إذا أنا لم يكرم عليّ كريمها[٣٣]

والخبر المتصل بالبيت في عمومه يدلّ على جلالة الراوية وذم دونهما، لكنه على مصطلح القوم ضعيف، فالإمام الحسين عليه السلام يستشهد ببيت لكثير عزة يبين فيه صدق مودته لمن أحب، على عكس ما كان يفعلاه حجر بن زائدة وعامر بن جذاعة من عدم الامتثال لأمره عليه السلام بعدم التعرض للمفضل بن عمر[٣٤] ■

---

(١) ينظر مثلا ما كتبه حسين علي محفوظ في مقدمة كتاب الكافي: ٨ ـ ٢٤ وهي ترجمة وافية له ـ الشيخ الكليني ـ تضمنت رجوعه إلى كثير من المصادر.

(٢) ديوانه:٢٣ ورواية الديوان: وبالجمرة الكبرى...، وينظر: أصول الكافي: ١/ ١٢٤.

(٣) لم أعثر على قائله فيما اطلعت عليه من كتب.

(٤) هو الزبرقان بن بدر.

(٥) ديوانه:٥٤ ورواية الديوان: ساروا إلينا بنصف الليل فاحتملوا فلا رهينة إلا سيد صمد، وينظر: أصول الكافي: ١/ ١٢٤.

(٦) أمالي القالي: ٦٥٦ بلا عزو، والعقد الفريد: ٥/ ١٥٣ منسوب إلى عمرو بن الأسلع، والصحاح: ٢/ ٤٩٩ له أيضاً، والبيت مع أبيات أخرى قيلت في يوم الهباءة، وينظر: أصول الكافي: ١/ ١٢٤.

(٧) الصمد بالتحريك: السيد المطاع الذي لا يقضى دونه أمر، وقيل: الذي يصمد إليه في الحوائج أي يقصد. ينظر: لسان العرب: ٣/ ٢٥٨ مادة قصد.

(٨) ينظر: لسان العرب: ٣/ ٢٥٨ مادة قصد.

(٩) الصمد من صفاته تعالى عزوجل، فهو عبارة عن وجوب الوجود والاستغناء المطلق، واحتياج كل شيء في جميع أموره إليه، وهو الذي يكون عنده ما يحتاج إليه كل شيء، ويكون رفع حاجة الكل إليه، ولم يفقد في ذاته شيئاً مما يحتاج إليه الكل وإليه يتوجه كل شيء بالعبادة والخضوع ينظر: أصول الكافي: ١/ ١٢٤ هامش ٤.

(١٠) ينظر: لسان العرب: ٣/ ٢٥٨ مادة قصد.

(١١) أصول الكافي: ١/ ١٢٤.

(١٢) ديوانه:١٠٢ وينظر: أصول الكافي: ١/ ٤٤٩.

(١٣) ديوانه: ٢٦ ورواية الديوان:... بقول الأباطل. وينظر: أصول الكافي: ١/ ٤٤٩.

(١٤) أصول الكافي: ١/ ٤٤٨.

(١٥) البيت غير موجود في ديوان أبي الأسود بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، ولا في ديوانه الآخر بتحقيق عبد الكريم الدجيلي، وإنما نسب إليه منفرداً في بعض كتب الأخبار كما في: مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٣٠٥، ومدينة المعاجز: ٢/ ٢٥٦، وشرح الأخبار: هامش صفحة ٢٦٦، وفي البيت رواية أخرى: أليس غلام بين كسرى وظالم بأكرم...، وفي هذه الرواية ينسب إلى ابن ميادة، ينظر ديوانه: ٩٨، والأغاني: ٢/ ٢٥٦، والوافي بالوفيات: ١٤/ ٩٧،والبيت بلا عزو في أعيان الشيعة: ٨/

٢٠٦.
(١٦) أصول الكافي: ١/ ٤٦٧.
(١٧) البيت غير موجود في ديوانه بتحقيق كرم البستاني وقد ورد منسوباً إليه في بعض الكتب: تاريخ مدينة دمشق:١١/ ٣٧٧، وبحار الأنوار: ٧٢/ ١١٢، ومجمع البحرين: ٤/ ١٦٠، و ينظر أصول الكافي: ٢/ ١٤٩، وفروع الكافي: ٤/ ٢١ في كتاب الزكاة باب كراهية المسألة.
(١٨) أصول الكافي: ٢/ ١٤٩.
(١٩) شرح أصول الكافي: ١٢/ ٥٤٠.
(٢٠) البيت لقيس بن الحدادية، ديوانه: ٣٨ ورواية الديوان: فلا يسمعن...، وينظر أصول الكافي: ٢/ ٢٢٤.
(٢١) ينظر أصول الكافي: ٢/ ٢٢٤
(٢٢) البيت لأبي العتاهية، ديوانه: ٢٥ ورواية الديوان: صديق إذا ما جئت أبغيه حاجة رجعت بما أبغي...، وينظر فروع الكافي: ٤/ ٢٤.
(٢٣) فروع الكافي: ٤/ ٢٤.
(٢٤) وردت الأبيات براوية مختلفةفي: أسد الغابة:٥/ ٩٣، والاستيعاب: ٤/ ١٥٥٩،والإصابة ٦/ ٤٨٥،

يـــا عيـــن فابكـــي للوليـــ
ـــد بـــن الوليـــد بـــن المغيره
قـــد كان غيثـــاً فـــي الســـنيـ
ـــن ورحمـــة فينـــا وميـــره
ضخـــم الدســـيعة ماجـــداً
يســـمو إلـــى طلـــب الوتيـــره
مثـــل الوليـــد بـــن الوليـــ
ـــد بن الوليـــد كفى العشـــيره

والرواية المذكورة في المتن هي رواية : فروع الكافي: ٥/ ١١٧، وينظر: بحار الأنوار: ٢٢/ ٢٢٦.
(٢٥) ينظر: فروع الكافي: ٥/ ١١٧ الهامش ٤.
(٢٦) لم أعثر على قائله فيما اطلعت عليه من كتب،وينظر: فروع الكافي: ٥/ ٣٢٢ ، ومن لا يحضره الفقيه: ٣/ ٣٨٦..
(٢٧) بحار الأنوار: ١٩ / ٢٩٩، ومجمع البحرين: ١/ ١٩٧، وينظر روضة الكافي: ٨/ ١١١.
(٢٨) ديوانه: ٥٠ ، وينظر روضة الكافي: ٨/ ١١١.
(٢٩) تاريخ الطبري: ٢/ ١٤٤، والكامل في التاريخ: ٢/ ١٢١،ورواية الأبيات فيهما:

يـــا رب امـــا يغـــزون طالـــب
في مقنب مـــن هـــذه المقانب
فليكن المســـلوب غير السالب
وليكـــن المغلوب غيـــر الغالب

والبداية والنهاية: ٣/ ٣٢٥، السيرة النبوية: ٢/ ٤٥١ ، ورواية الأبيات فيهما:

لاهم اما يغزون طالب
في عصبة محالف محارب
في مقنب من هذه المقانب
فليكن المسلوب غير السالب
وليكن المغلوب غير الغالب

وينظر روضة الكافي:٨/ ٣٧٥
(٣٠) روضة الكافي:٨/ ٣٧٥.
(٣١) البيت للفضل بن العباس بن أبي لهب في جمهرة أمثال العرب: ١/ ٢٨١، وبلا عزو في: مجمع الأمثال: ١/ ١٤٧، وينظر روضة الكافي:٨/ ٢٦٠
(٣٢) ينظر المثل وقصته في: جمهرة أمثال العرب: ١/ ٢٨١، ومجمع الأمثال: ١/ ١٤٧ - ١٤٨.
(٣٣) ديوانه: ١٤٤، وينظر روضة الكافي:٨/ ٣٧٤.
(٣٤) ينظر روضة الكافي:٨/ ٣٧٤.

من شعر الحكمة..

قالوا في اللسان:

قال زهير بن أبي سلمى:

لســان الفتى نصــف ونصف فؤاده ... فلم يبــق إلا صورة اللحــم والدم

وقال أحد الحكماء :

لعمرك مــا للمرء كالــرب حافظ ... ولا مثــل عقل المــرء للمرء واعظ
لســانك لا يلقيك في الغــي غيره ... فإنــك مأخــوذ بمــا أنــت لافظ
ولا يملك الإنسان رجعا لما مضى ... ولو جهدت فيه النفــوس اللوافظ
ولــن يهلــك الإنســان إلا لســانه ... فهــل أنت مما ليــس يعنيك حافظ

وقال آخر:

لســانك لا تنكــئ بــه القــوم إنما ... تنــال بكفيــك النجاة مــن الكرب

قال الكسائي:

احفــظ لســانك لا تقــول فتبتلي ... إن البــلاء مــوكل بالمنطــق

وقال آخر:

لا تنطقــن بمــا كرهــت فربمــا ... نطــق اللســان بحــادث فيكــون

قال الشافعي:

لســانك لا تذكــر به عــورة امرئ ... فكلــك عــورات وللناس ألســن

وقال آخر:

احفــظ لســانك لا تبــح بثلاثــة ... ســر ومال ما اســتطعت ومذهب
فعلــى الثلاثــة تبتلــى بثلاثــة ... بمكفــر وبحاســد ومكــذب

حكاية مستبصر..

المحامي والكاتب
عبد المنعم حسن / السودان

ولد عام ١٩٦٩م في قرية (سحار) شرق السودان، وترعرع في أسرة متواضعة، تتعبّد وفق المذهب المالكي. كان أبوه إماماً وشيخاً للقرية... توفي والده فانتقلت عائلته إلى قرية (الكرية) وأكمل فيها الابتدائية ثم إلى مدينة بور السودان لظروف الدراسة والمعيشة. فأكمل فيها تعليمه (المتوسطة والثانوية) ودخل كلية الحقوق جامعة القاهرة بالخرطوم.. وفي أحد أحياء الخرطوم اختار السكن مع أقربائه، وكان يسكن أحد أبناء عمومته وحيداً يكافح في الحياة بين الدراسة والعمل... كان متديناً يعيش حياة سعيدة رغم أنه لا يملك شيئاً من الوسائل المادية للسعادة وربما يختصر طعامه في اليوم بوجبة واحدة.

كان يزوره باستمرار ـ لإعجابه الكثير به وبخلقه وزهده ـ ويجلس معه ويحاوره في كثير من قضايا الدين والموت والآخرة، فكان ينبوعاً من العلم ـ كما يقول عبد المنعم ـ، وحديثه معه كان يخلق فيه روحاً إيمانية ودفعة معنوية مضاعفة وذلك لمواجهة الحياة والزهد في الدنيا... وكان يعجب من تدينه الذي ينبع من إخلاص قلما وجده عند أحد خصوصاً في هذا الزمن الذي غلبت عليه المادية وأصبح الدين لعقاً على ألسنة الناس يحوطونه ما درّت معايشهم فإذا مُحّصوا بالبلاء قل الديّانون... فكانت الكلمة تخرج من قلبه فيشعر بها في أعماق وجدانه، وكان كثير الصوم... دائم العبادة لله تعالى... يقول الأخ عبد المنعم : أحياناً كنت أبيت معه ليالي كاملة فأراه بالليل قائماً قانتاً يدعو الله ويتلو كتابه وفي الصباح يدعو الله بكلمات لم أسمع بها من قبل، كلمات يناجي بها ربه عز وجلّ هي بلا شك ليست لبشر عادي، لابد أنها من قول الرسول صلى الله عليه وآله ولكن عجباً لم أسمع بها من قبل، ولم أقرأها ضمن مناهج الدراسة ولا الكتب الإسلامية...فأضطر إلى سؤاله : ما هذا الذي تقرؤه؟! فيجيب بأنه دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لقد أحببته كثيرًا لورعه.. وإذا به شيعي!، كثيراً ما كان يثير الحديث عن أهمية التدين والدين والبحث عن سبل النجاة قبل أن يأتي الأجل المحتوم، وهذا الحديث كان يثير فيّ إحساساً بالمسؤولية يؤرقني فكنت أتحاشى فتح الحوار معه من الأساس، إلى أن جاء يوم ابتدأت معه حواراً صريحاً ـ بعد أن لاحت لي في الأفق أشياء استغربتها ـ حول هذا الدين الذي يتعبد به إلى الله تعالى، وأول معلومة ثبتت لدي أنه جعفري إمامي إثنا عشري (شيعي).

وانطلقت معه في حوارات قوية باعتبارنا

متمسكين بمذهب أهل السنة والجماعة، وكان النقاش يمتد لساعات طويلة وكانت حجته قوية بيّنة مدعّمة بالأدلة والبراهين العقلية والنقلية، ولم يعتمد على طول حواره على كتاب أو مصدر شيعي مما يعملون به، بل كان يرشدني إلى مصادر أهل السنة والجماعة لأجد صدق إدعائه.

يكمل الأخ عبد المنعم حديثه قائلاً: رغم أن حديثه وأدلته والكتب التي قرأتها كانت تحدث فيَّ هزة داخلية ألا أن العناد والمكابرة كان هو الديدن.

وأخيراً بنور فاطمة اهتديت : يضيف عبد المنعم : صادف - ذات يوم - أن ذهبت إلى دار إبن عمي لتحيته والتحدث معه في أمور عامة، فلفت انتباهي صوت خطيب ينبعث من جهاز التسجيل قائلاً : وهذه الخطبة وردت في مصادر السنة والشيعة وقد ألقتها فاطمة الزهراء عليها السلام لتثبيت حقها في فدك، ثم بدأ الخطيب بصوت هادئ جميل في الخطبة فتدفق شعاع كلماتها إلى أعماق وجداني، تبيّن لي أن مثل هذه الكلمات لا تخرج من شخص عادي حتى ولو كان عالماً مفوهاً درس آلاف السنين، بل هي في حدّ ذاتها معجزة، كلمات بليغة... عبارات رصينة، حجج دامغة وتعبير قوي... تركت نفسي لها، واستمعت إليها بكل كياني فلم أتمالك نفسي وزاد انهمار دموعي، وتعجبت من هذه الكلمات القوية الموجهة إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله! ومما زاد في حيرتي أنها من ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله فماذا حدث... ولماذا... وكيف... ومع من كان الحق؟!! وقبل كل هذا هل هذا الاختلاف حدث حقيقة؟ ، وفي الواقع لم أكن أعلم صدق هذه الخطبة ولكن اهتزت مشاعري حينها... كانت الخطبة كالسهم نفذت إلى أعماقي، فتحت جرحاً لا أظنه يندمل بسهولة ويسر، غالبتُ دموعي وحاولت منعها من الانحدار ما استطعت! ولكنها انهمرت

وكأنها تصر على أن تغسل عار التاريخ في قلبي، فكان التصميم على الرحيل عبر محطات التاريخ للتعرف إلى مأساة الأمة، وتلك كانت هي البداية لتحديد هوية السير والانتقال : عبر فضاء المعتقدات والتاريخ والميل مع الدليل... قررت مع أول دمعة نزلت من آماقي الخوض في غمار البحث بجدية، وكنت لا أريد في هذا المجال أن أسمع من أحد، بل كنت أريد بداية الخيط لأنطلق.

وأول مصدر وجدت فيه بداية الخيط صحيح البخاري، فكانت المفاجأة التي لم أتوقعها ودام حواري مع ابن عمي سنتين تقريباً، فأقام الدليل والحجة على صحة ما هو عليه، فما كان مني في النهاية إلا التسليم بعد البحث والتنقيب وانكشاف الحقائق...فكانت النتيجة أن كتبت كتابي الأول (بنور فاطمة اهتديت) وكانت فاطمة عليها السلام النور الذي كشف لي بداية الصراط المستقيم.

بتصرف عن:
كتاب (المتحولون) ص:٥٩٢

الإمام الجواد عليه السلام

ومحنة الشيعة في بدء إمامته

محمد جعفر الطباطبائي •

ينابيع

في السنة الخامسة والتسعين بعد المائة للهجرة النبوية.. ولد إمامنا أبو جعفر الجواد عليه السلام. ونشأ تحت كنف والده الإمام الرضا عليه السلام الذي كان يعيش تحت وطأة تلك الظروف الصعبة، في قبول ذلك الواقع المرير والحيلة الماكرة من المأمون في تسليمه ولاية العهد ـ على زعمه ـ للإمام الرضا عليه السلام.

لقد كان الإمام عليه السلام يعلم أن تلك الولاية المزعومة ما هي إلا حيلة خبيثة من المأمون لكي يقوم بتهدئة تلك الأجواء الخانقة والمتوترة التي كان يخشى على ملكه منها.

ويهدد الإمام عليه السلام على ولاية العهد.. ويقبل عليه السلام ـ على كره ـ تلك المؤامرة.. شريطة أن لا يعزل ولا يولّي ولا يقوم بأي عمل.

وما إن صفا الجوّ للمأمون، وهدأت تلك الأوضاع، نكبت شيعة أهل البيت عليهم السلام بتلك الفاجعة العظمى وانتهاك حرمة الإسلام بسمّ الإمام الرضا عليه السلام واستشهاده على يد المأمون، رغم زعمه بأنه لم يقم بأي جرم، وتظاهره بالحزن على الإمام عليه السلام ولبس السواد على تلك المصيبة.

ويشيع الإمام الرضا عليه السلام بإجلال واحترام أمام أنظار شيعته، ويسجى في لحده.

حيرة الشيعة في ذلك الظرف العصيب

لقد كانت أعين الشيعة متقلبة، فهم في حزنهم كائنون، فها هو إمامهم وسيدهم وخليفة نبيهم قد رحل إلى عالم الملكوت، ليخلّف أبا جعفر عليه السلام ولم يتجاوز الثامنة، فكيف؟.. ومن؟.. ومتى؟

لقد كان أمراً صعباً، فهم يواجهون (أول مخاض عقائدي عسير جداً، وفريد من نوعه، ويتعرضون لزلزال عقائدي عنيف من داخل أنفسهم، يزلزل وجودهم، ويهز ضمائرهم من الأعماق... ووضوح قضية الإمامة وشؤونها وقطعيتها لدى الشيعة لا يعني أن لا يتعرض عامة الناس والضعفاء منهم لهذا الزلزال الخطير)[1].

أجل.. إنه امتحان للشيعة .. بل هي محنة!، فمن سيكون خليفة إمامهم؟! فلقد تعلموا وتفقهوا على أنه يجب في كل زمن إمام، وأن الأرض لا تخلو من حجة.. فمن هو هذا الإمام؟! أهو أبو جعفر الجواد عليه السلام وهو لم يتجاوز الثامنة أم شخص آخر؟ ومن هذا الشخص؟ أيمكن أن يكون علي بن جعفر ـ مثلاً ـ؟ فهو عم الرضا عليه السلام، أم.. من؟

قال ابن رستم: (ولما بلغ عمره ست سنين وشهور، قتل المأمون أباه، وبقيت الطائفة في حيرة، واختلفت الكلمة بين الناس، واستُصغرَ سن أبي جعفر، وتحيّر الشيعة في سائر الأمصار)[2].

الإمام الجواد في مجالس الشيعة

صمت رهيب يسود تلك المجالس التي طالما كانت عامرة بالتحدث والرواية عن الرضا وأبيه وأجداده عليهم السلام.. فلنرى كيف كانت حالهم..

يحدثنا التاريخ أنه لما قبض الرضا عليه السلام كان سن أبي جعفر نحو سبع سنين، فاختلفت الكلمة بين الناس ببغداد، وفي الأمصار. واجتمع الريان بن الصلت، وصفوان بن يحيى، ومحمد بن حكيم، وعبد الرحمن بن الحجاج، ويونس بن

عبد الرحمن، وجماعة من وجوه الشيعة وثقاتهم في دار عبد الرحمن بن الحجاج في (بركة زلزل) يبكون، ويتوجعون من المصيبة.

فقال لهم يونس بن عبد الرحمن: دعوا البكاء! من لهذا الأمر؟! وإلى من نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا؟ يعني: أبا جعفر عليه السلام.

فقام إليه الريان بن الصلت، ووضع يده في حلقه، ولم يزل يلطمه، ويقول له: أنت تظهر الإيمان لنا، وتبطن الشك والشرك، إن كان أمره من الله، فلو أنه كان ابن يوم واحد لكان بمنزلة الشيخ وقوته، وإن لم يكن من عند الله فلو عمر ألف سنة فهو واحد من الناس، هذا مما ينبغي أن يفكر فيه؟!

فأقبلت العصابة عليه تعذله وتوبّخه. وكان وقت الموسم، فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار، وعلمائهم ثمانون رجلاً، فخرجوا إلى الحج، وقصدوا المدينة، ليشاهدوا أبا جعفر فلما وافوا[٣]..

تقول رواية المناقب والبحار: (فجئنا ودخلنا القصر، فإذا الناس فيه متكابسون، فجلسنا معهم، إذ خرج علينا عبد الله بن موسى، شيخ. فقال الناس: هذا صاحبنا.

فقال الفقهاء: قد روينا عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنه لا تجتمع الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام فليس هذا صاحبنا. فجاء حتى جلس في صدر المجلس. فقال رجل: ما تقول أعزك الله في رجل أتى حمارة؟ فقال: تقطع يده ويضرب الحد وينفى من الأرض سنة، ثم قام إليه آخر فقال: ما تقول آجرك الله في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء؟ قال: بانت منه بصدر الجوزاء والنسر الطائر والنسر الواقع.

فتحيرنا في جرأته على الخطأ إذ خرج علينا أبو جعفر عليه السلام وهو ابن ثماني سنين، فقمنا إليه فسلم على الناس، وقام عبد الله بن موسى من مجلسه فجلس بين يديه وجلس أبو جعفر عليه السلام في صدر المجلس، ثم قال: سلوا رحمكم الله..

فقام إليه الرجل الأول وقال: ما تقول أصلحك الله في رجل أتى حمارة؟

قال: يضرب دون الحد ويغرم ثمنها ويحرم ظهرها ونتاجها وتخرج إلى البرية حتى تأتي عليها منيتها، سبع أكلها ذئب أكلها..

ثم قال بعد كلام: يا هذا ذاك الرجل ينبش عن ميتة يسرق كفنها، ويفجر بها، ويوجب عليه القطع بالسرق والحد بالزنا والنفي إذا كان عزباً، فلو كان محصناً لوجب عليه القتل والرجم.

فقال الرجل الثاني: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله ما تقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء؟

قال: تقرأ القرآن؟

قال: نعم.

قال اقرأ سورة الطلاق إلى قوله (وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلّه) يا هذا لا طلاق إلا بخمس: شهادة شاهدين عدلين، في طهر، من غير جماع، بإرادة وعزم. ثم قال بعد كلام: يا هذا هل ترى في القرآن عدد نجوم السماء؟ قال: لا)[٤].

أما في رواية عيون المعجزات فيقول الراوي: (فورد على الشيعة ما حيرهم وغمهم، واضطربت الفقهاء، وقاموا، وهموا بالانصراف. وقالوا: لو كان أبو جعفر يكمل جواب المسائل لما كان من عبد الله ما كان، من الجواب بغير الواجب)[٥].

وعلى كل حال فتلك هي حال الشيعة في ما دهاهم من ذلك الأمر الخطير الذي واجههم، حيث استطاعوا بفضل الله أن يعرفوا طريق الهداية والصواب بسبب القواعد الثابتة التي أصّلها أئمة الهدى سابقاً، التي تزيل كل شبهة، وتقطع كل عذر.

الثلاثون ألف مسألة

واستمرت الشيعة بطرح الأسئلة.. والإمام يجيب عنها، حتى انقطع العذر بعد ذلك وتيقنوا من إمامهم. روى علي بن إبراهيم عن أبيه قال: استأذن على أبي جعفر عليه السلام قوم من أهل النواحي فأذن لهم فدخلوا فسألوه في مجلس واحد ثلاثين ألف مسألة فأجاب وله عشر سنين. وقد ورد هذا الخبر بطرق متعددة، وأورده ثقة الإسلام في الكافي وابن شهراشوب في المناقب والإربلي في كشف الغمة(٦).

و(لا ريب أن الجواب عن كل مسألة بيتاً واحداً أعني خمسين حرفاً لكان أكثر من ثلاث ختمات للقرآن، فكيف يمكن ذلك في مجلس واحد؟ ولو قيل: إن الإمام عليه السلام كان يجيبهم بلا ونعم فمن السؤال ما لا يمكن الاكتفاء به)(٧). وقد ذكرت أوجه عديدة لهذا المعنى لا بأس بالرجوع إليها.

يقول السيد جعفر مرتضى العاملي: (إن اختصاص الإمام الجواد عليه السلام - على صغر سنه - من بين سائر الأئمة عليهم السلام بهذه المسائل الكثيرة، إنما يعبر عن أن ثمة تعمداً خاصاً بالنسبة إلى هذا الإمام بالذات لخصوصية دعتهم إلى ذلك بلا ريب)(٨).

وهكذا، تغلبت الشيعة على محنتها، إذ كان الإمام الجواد عليه السلام أول من يتولى شؤون الإمامة وهو ابن ثماني سنين. وقد مهّد في ذلك للإمام الهادي عليه السلام من بعده الذي كان ذا ست سنوات، ولم ينصدم الشيعة بهذا الأمر. ثم يأتي بعد ذلك مهدي آل محمد (عجل الله فرجه) ليكون إماماً مفترض الطاعة وعمره لا يتجاوز الخمس سنوات أيضاً.

نسأل الله أن يرزقنا الثبات على ولايتهم، والبراءة من أعدائهم. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الحياة السياسية للإمام الجواد عليه السلام: ٢٨.
(٢) دلائل الإمامة: ٢٠٤
(٣) نقلنا هذا من عيون المعجزات : ١٠٩ وقد انتهت.
(٤) بحار الأنوار ٥٠: ٩١-٩٢، مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٨٢-٣٨٣.
(٥) عيون المعجزات: ١١٩-١٢١، إثبات الوصية: ٢١٣-٢١٥، دلائل الإمامة: ٢٠٤-٢٠٦ و ٢١٢، والبحار ٥٠: ٩٩-١٠٠، مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٨٢-٣٨٣ عن الجلاء والشفاء، والاختصاص: ١٠٢.
(٦) الكافي ١: ٤٩٦، مناقب آل أبي طالب ٣: ٤٩٠، كشف الغمة ٢: ٣٦٤.
(٧) مقتطفات من سيرة أهل البيت عليهم السلام: ٢٩٣
(٨) الحياة السياسية للإمام الجواد عليه السلام: ٤١.

الإمام الهادي عليه السلام
وصراع الولاية

السيد علاء الموسوي •
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

خاض أهل البيت عليهم السلام ألوانًا من الصراع طوال تاريخهم الحافل بالجهاد في سبيل إبقاء معالم الإسلام والحفاظ على ثوابت الدين القويم.

فتارة نجدهم في صراع على جبهة التوحيد وإثبات مسائله الحقة، من نفي التجسيم وعدم الرؤية، ونفي تعدد الصفات، وأخرى في صراع على جبهة العدل الإلهي ونفي الجبر والتفويض وإثبات الأمر بين الأمرين. وثالثة على جبهة المسائل الفقهية الفرعية وأحكام الإسلام التي طالتها يد التحريف والتزوير. وهكذا.

ولعل الجبهة الأخطر في ذلك هي جبهة إثبات الولاية الحقة للأوصياء بعد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، إذ نجدهم يكثرون من التصريحات المؤكدة على ضرورة الوصية وصفات الوصي الحق ومعالم الإمامة بعد النبي صلى الله عليه وآله، في أحاديث تعد بالمئات، أودعت في أوثق مصادر التشيع كأصول الكافي، وبصائر الدرجات، وأمثالهما من المصادر القديمة.

وقد انتشرت تلك الأحاديث التي تتحدث بالتفصيل عن مبدأ الولاية والإمامة وعن الصفات المعتبرة في الإمام ووظائفه وكفاءاته وقدراته العلمية والنفسية والتكوينية، في جُلّ كتب الإمامية العقائدية والكلامية. بل حتى في بعض كتب الطوائف الأخرى أيضاً رغم مخالفتها لهذا المبدأ. مما يوضح شدة اهتمامهم عليهم السلام بهذه المسألة. كما نجدهم عليهم السلام يستخدمون العديد من الوسائل لإيصال تلك الحقائق إلى الأجيال والحفاظ عليها من الضياع.. إذ الروايات واحدة من تلك الوسائل،

والزيارات وسيلة أخرى، والأدعية وسيلة ثالثة. الأمر الذي يبدي الأهمية الكبرى لمسألة الإمامة والولاية، ومدى صعوبة الصراع الذي خاضه أئمة الهدى عليهم السلام لإثبات هذه المسألة في الأجواء الفكرية بين المسلمين، مع كونها من المسائل شديدة الحساسية والتي تحفها المخاطر لكونها تمس شرعية الأنظمة الحاكمة في مختلف الأزمان.

ومع كون مسألة الولاية والإمامة من المسائل الخلافية الكبيرة بين المذاهب الإسلامية حتى صرح بعضهم قائلاً أنه لم يرق دم في الإسلام كما أريق على مسألة الإمامة. ومع كونها إحدى الذرائع التي يتخذها الظالمون لقتل وملاحقة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، إلا أننا نجد الأئمة عليهم السلام لا يفتأون يتحدثون فيها ويؤكدون عليها ويودعونها في زياراتهم المأثورة.

إن من تلك الجهود المؤكدة لهذا المعنى ما ورد عن الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة لأئمة المسلمين. حيث أودعها جُلّ ما ورد متفرقاً في روايات الأئمة عليهم السلام في الأزمنة المختلفة. هذا مع كونه صلوات الله عليه كان يعيش أشد حالات التقية والحذر. فهو رهين داره في بلاد الظالمين وعاصمة المتربصين به الدوائر. ومع شدة المراقبة عليه وتحجير اللقاء به ومنع الشيعة من التردد عليه.

بنظرة متمعنة في هذه الأيام نجد الإمام

الهادي عليه السلام قد جمع من فضائل الأئمة وأوصافهم وعظيم منزلتهم ما تفرق في المئات من أحاديث الإماميين الصادقين ومن بعدهما من الأئمة عليهم السلام، وكأنه جعلها زيارة جامعة لا لأئمة المسلمين فقط، بمعنى أنها يزار بها كل إمام، بل هي جامعة لفضائلهم وخصائصهم وعلو منزلتهم، فهي موسوعة لمعارف الإمامة وحقائق الولاية.

ولو أردنا أن نقف عند كل مقطع من مقاطعها لوجدنا عليه شاهدًا أو أكثر من الروايات الشريفة المروية في كتبنا المعتبرة.

ولذلك أمثلة نذكر بعضها كي لا يطول بنا الحديث. فقد ورد في عبارة الزيارة عدة أوصاف منها:

ـ أهل الذكر: وقد روي مستفيضاً عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قول الله تعالى: (**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**)[1] قال عليه السلام: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون[2].

ـ ورثة الأنبياء: وقد روي عن أبي الحسن الأول عليه السلام أنه سأله سائل قال: (جعلت فداك أخبرني عن النبي صلى الله عليه وآله ورث من النبيين كلهم؟ قال عليه السلام: نعم. قلت من لدن آدم إلى أن انتهت إلى نفسه؟ قال: ما بعث الله نبيا إلا ومحمد صلى الله عليه وآله أعلم منه. قال الراوي: قلت إن عيسى بن مريم كان يحيي الموتى بإذن الله! قال: صدقت. قلت: وسليمان بن داوود كان يفهم منطق الطير، هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل؟ قال: نعم، فقال: إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشك في أمره، فقال: (**مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ**)[3] وغضب عليه فقال: (**لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**)[4]، وإنما غضب عليه لأنه كان يدله على الماء، فهذا وهو طير فقد أعطي ما لم يعط سليمان، وقد كانت الريح والنمل والجن والإنس والشياطين المردة له طائعين ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء فكان الطير يعرفه، إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: (**وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى، بَل لله الأَمْرُ جَمِيعًا**)[5]، وقد ورثنا هذا القرآن ففيه ما يقطع به الجبال ويقطع البلدان به ويحيي به الموتى ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإن في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلى أن يأذن الله به مع ما فيه إذن الله. فما كتبه للماضين جعله الله في أم الكتاب. إن الله يقول في كتابه: (**وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي السَّمَآءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**)[6]. ثم قال: (**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**)[7]. فنحن الذين اصطفانا الله فورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء)[8].

ـ أئمة الهدى: وقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من سره أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل جنة ربي جنة عدن قضيب من قضبانه غرسه ربي بيده فقال له كن فكان فليتول علياً والأوصياء من بعده وليسلم لفضلهم فإنهم الهداة المرضيون أعطاهم فهمي وعلمي وهم عترتي من دمي ولحمي)[9]. وهكذا لو تتبعنا عبائر الزيارة الشريفة لوجدنا مطابقتها للروايات الشريفة أمراً واضحاً جلياً.

إن صياغة تلك الحقائق في صورة زيارة يؤديها الزائر أمام أي ضريح من ضرائحهم المقدسة، تمتزج فيها العقيدة بالعاطفة،

والفكــرة بالشــوق، والديــن بالحب. لهو أسلوب فائق التأثير على النفوس، كما أنه يمكنــه تجنب احتمالات الطمس والتضييع أكثــر مــن الروايــات والأحاديــث التــي تستهدف عادة بالتحريف والإضاعة. وذلك لأن الزيــارة في شــكلها الظاهــري ما هي إلا ممارســة عبادية قد لا يهتم المغرضون وأهل الباطل بتحريفها كما يهتمون بتحريف وطمس الروايات والأحاديث التي تعد في أنظارهم مصدراً أساسياً للعقائد والأفكار المناهضة لمبانيهم ولأساس شرعيتهم.

لقــد خــاض إمامنا الهــاديعليه السلام صراع الولايــة مع أطــراف عديــدة اتفقت على إنــكار الحــدود المعينة للولايــة التي بينها أهــل البيــتعليهم السلام بحيــث يعــد مــن تقدم عليهــا وبالغ فيهــا مغالياً ومــن قصر فيها وخدش ببعضهــا مقصراً. فهناك من يقول بإمامتهم إلا أنه لا يتقيد بتلك الحدود التي أوضحوهــا لولايتهــم وإمامتهــم، وهناك مــن لا يقــول أساســاً بحقهــم المفترض علــى الأمة مع اعترافــه بتقدمهم في العلم علــى جميع الأمــة. وبين هــؤلاء وأولئك.. كانــت الزيــارة الجامعــة الكبيــرة نصــاً جامعاً لشــتات حقائق الولايــة والإمامة.. والفضائــل والمقامــات الثابتــة لأئمــة الهدىعليهم السلام ■

(١) النحل:٤٣.
(٢) بصائر الدرجات ص٤٠.
(٣) النمل:٢٠.
(٤) النمل:٢١.
(٥) الرعد:٣١.
(٦) النمل:٧٥.
(٧) فاطر:٣٢.
(٨) بصائر الدرجات ص٤٧.
(٩) نفس المصدر ص٤٨.

مؤتمر الإنذار..

ودلالات الحدث

د. فاضل منجي شكر •

ينابيع

في كتاب الله المعصوم الذي لا يأتيه الباطل، إجابة عن كل سؤال وتلبية لكل مطلب حق، نحتاج إليه جميعاً، ومواصلة عبر التاريخ العقائدي مع كل وعد قطعته السماء تصريحاً أو تلميحاً، مباشراً أو غير مباشر، وفيه بيان للمقصود وتقرير للمنهاج، ينتهي بإدراكه كل مسوغ للتناحر والخلافات بين أهل الإسلام الحقيقيين.

مهدت بعض آياته لمقدمات تؤسس لنظام اجتماعي وكيان متميز للأمة، التي أريد لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس، منها الآية التي وضعت مقدمة للبناء المنشود لنظام محكم متكامل وأمرت النبي ﷺ بعقد اجتماع لأبناء عشيرته بنص واضح وصريح: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)(الشعراء/ ١٢٤).

عند التدبر والاستبصار في هذه الآية المباركة.. تراودنا أسئلة عدة منها:

- ماذا أراد الله بالآية المباركة هذه...؟
- ولم جاء توقيتها بداية الرسالة في مكة وبصيغة الإنذار المبكر..؟
- ولماذا العشيرة (الأقربين) بالتخصيص، بينما الرسالة هي للناس كافة..؟
- هل هناك (عهد) سابق و(جعلية) خصت ذرية إبراهيم عليه السلام وهذا الإنذار يؤشر للخصوصية تلك؟
- وإذا علمنا أن من الصحابة قد صدق النبي ﷺ بعد علي عليه السلام من غير العشيرة.. فهل سنذهب في تأمل المطلب أكثر؟
- هل سيكفينا تدبّرًا في الآية قولنا قد ساوت بين بعيد وقريب دون فرق وهو أمر بديهي لا يحتاج لأي تأشير إذا توقفنا على ظاهره فقط، مما يفقدنا استنباط الكثير عن الآية باطنها وظاهرها، مضافاً لذلك تتبع مجريات الحدث الذي تلا نزولها وانعقد (المؤتمر) بأمره دون تخيير؟
- ثم لنتابع المجريات والمسار والتداعيات التي حصلت وما تمخض عنه

المؤتمر عند انعقاده وانفضاضه حين صمت كل الحضور وتكلم (أبو لهب) و(علي عليه السلام)، تلك المداخلة التي أفرزت مواقف حاسمة.

وعطفاً على هذا فهل سبق حصول مثل ما حصل عند المؤتمر من قرار حين دعا النبي صلى الله عليه وآله الناس كافة، كي نقول بقناعة عندها إن الآية تريد القول ألا فرق بين بعيد وقريب وحسب. وهذا ما لا يتجاوب مع الوقائع.

ليس القصد من الحدث وتناوله اجترار التاريخ، بل القصد تثبيت مبدأ وحقيقة مفيدة وهامة جداً نكاد نجد صداها وأثرها في آيات عدة غيرها عند تدبرها. هذه الحقيقة هي أن الله تعالى قد بيّن للأمة أسس مسارها وهداها إلى سبيل بناء نموذجها الأمثل والأزلي، الهادي لكل الأمم في أخذ عبرته مبكراً منذ بدايات عهد النزول، وما سيبقى سيترك للأمة لإدلاء دلوها إن عرفت كيف تحسن الاختيار بعد فهم واستيعاب، حيث المعني بثبات لتقرير هويتها الثابتة عبر الزمن والتي تحمل روح الرسالة وقدسية أهدافها وخطها ووضوح مواقفها، وذلك لن يتم إلا بعد دقة في التدبر وبالتجرد عن كل هوى وتسرع ومطامع شخصية وتصورات من بناة الفكر الجاهلي المنهدم بكل صنميته، حيث لن تخالف بذلك جوهر المطلوب وستسخر كل طاقة وضعت أمامها ووسائل تسهل عليها بلوغ مرادها الذي سيرضي الله ورسوله لتعود إلى ربها بنفس مطمئنة راضية مرضية تضمن سعادتها في الدارين. لكن الأحداث التي تلت أخذت مناحيَ شتى لأن الناس

افترقت بعد وفاة النبي ﷺ إلى فرق عدة بوقت أسرع من المتصور.

أما في حياة النبي ﷺ فقد توالت الأحداث تحمل إيحاءات تواصلية، تؤكد كل منها ما سبقها من (حدث) سواء كان ذلك بنص قرآني أم بحديث أو سنة نبوية وبشكل أوضح من الشمس. إلا أنه لا نص باسم الخليفة والوصي لأنه لا نبي بعد محمد ﷺ فالإمامة لها وسيلتها وأريد للأمة أن تتفكر جيداً وتتدبر! أفليس لكل نبي وصي لا يرثه بمال وحسب بل يقلده مواريث علم النبوة ويحمّله مسؤولياتها، كيف وهذا دين الختام الكامل بكل شيء والنبي الخاتم والكتاب الذي لم يترك للأمة ما ستفتقر إليه بعده، إلا لمن يترجمه لها كما يريد الله ورسوله دون أن تقع أسيرة الفرقة وجهل العقيدة ومراهقات حب الحكم، والأمة لا تعرف أو هي مسلوبة الإرادة في الاختيار لتتفرق مع الزمن إلى مذاهب شتى ولتزيد شجرة التفرع تشتيتاً وضياعاً برغم وضوح أصل الشجرة وبقائه غضاً حياً واحداً لا غبار عليه.

كان على الأمة بعد تمام النعمة وكمال الدين ورضى الله للناس الإسلام ديناً، أن تستحضر لب عقولها وعقلانياتها لتضع الأمور في نصابها الذي أوصيت به وبان طريقها قبل أن تترك مصير الدين والأمة لغلمان الأجيال اللاحقة لتتفتق عبقرياتها عن بدع لا تسعى إلا لتكريس مجد الملك إلى ما لا حد له حسب طموحهم. كان عليهم اختيار الأفضل بكل بركاته وعلومه وشهادات بينهم بحقه ثم ليكونوا وزراءه المعتمدين الذي لن يضحي بقدراتهم وفضائلهم دون فسح المجال أمام أية فتنة من المتربصين.

لو حصل ذلك لكان بناء نموذج الدولة على أفضل خيار وقرار وتكامل باعتباره النموذج الذي دلتهم عليه السماء عن رب العزة والملكوت. أليس ما يستقيم مع العقل والمنطق والذكاء حين يختار الله تعالى نبياً واحداً أي قائداً هادياً واحداً كي لا تتقاطع الإرادات والتعليمات والنصوص فإنه تعالى سيختار إماماً أميناً واحداً يحمل جوهر المطلوب وليكن الجميع حوله كما أمر كتاب الله.. هكذا يفترض أن ينظر إلى الأمور بكل بساطة ودون تعقيد وليحسم الأمر كي يهتدي الجميع لمنهاج تكاملي لبناء الدولة الفتية، خاصة وهم جميعاً أقوياء أشداء رحماء بينهم، وعلماء بعد الإمامة بينما من كان ما زال حديث العهد ممن أسلم من الطلقاء وغيرهم بحاجة إلى زمن كي يعرفوا كيف أن الخير سينالهم أسوة بإخوتهم المؤمنين.

وفيما عدا ذلك فإن تركهم على ثقافة الجاهلية المتشبعين بها ستشكل أكبر خطر على مصير الدين والأمة! الأمر الذي حدث فعلاً وجاء بالويلات والقتل والدمار على أهل الإسلام لاحقاً وعن طريق الباطل.

لقد أوصلنا ذلك المسار إلى يوم نعجز فيه عن عد النماذج التي تدعي إسلاميتها دون أية معالم مقنعة في ما بينها لإثبات صواب طريقها. وما زالت مطامعنا تتعمق وهي ترى أنداداً لنا قد قطعوا طريقاً بعيدة في بناء نماذج دولهم وبنجاح منقطع مع تعددها. أما نحن فمبدعون يومياً في ابتكار وسائل القتل والتدمير لبعضنا البعض الآخر وللإنسانية كافة دون وازع من ضمير وبظلمات التفكير المقيت.

ولنعد لمؤتمر الإنذار ودلالاته ومجرياته وتداعياته لنبين الحقائق التالية:

ـ النبي ﷺ بعد أن أنذر الحضور بقوله: (من يؤازرني على هذا الأمر يكن أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من

بعدي) (الإرشاد/الشيخ المفيد ج١ ص٧) قد طلب (أخاً) في العقيدة بغض النظر عن تباين أعمار الحضور وكان ذلك سراً ودلالة كشف عنها يوم تآخي الأنصار والمهاجرين.. فمن آخا النبي صلى الله عليه وآله فيها؟! إنه علي عليه السلام.

- وفي النص دلالات مذهلة أخرى.. مهمتان سترافقان حياتهما (الأخ والوزير).. واثنتان بعد أن يفترقا صلى الله عليهما (الوصي والخليفة).. أمَا من لبيب ينتبه من بين الحضور غير (علي عليه السلام) ليضمن حياةً أطول من حياة نبيه؟ أم إن الله جعل أكنّة على قلوب شتى كي تكون المهمة من حصة (الأسد).. هذا الذي لم يغب عن محل فيه قتل لا محالة لولا إرادة السماء! فالبداية المبيت في فراش ابن عمه، والنهاية حين وضعت الحرب أوزارها.. بدر.. أحد.. الخندق.. خيبر.. حنين.. ما غاب عنها فارسها الذي حسمها لله ولدينه ولرسوله؟! وما سر نجاته من جميعها مع ثقل الجراح.. لولا.. العهد..؟!

وخلاصة ما أردنا التنبه له وبيانه:

- كل ما تطلبه يجيبك عنه كتاب الله لو تدبرت..

- إن (الآية) المباركة أرادت عقد الاجتماع لحسم أمر ما، والبحث يدور حول كل تداعياته.

- لعل (الآية) أرادت إعادة تذكير الجميع بوجود (عهد ووعد) ضمته آية قرآنية أخرى.

وإن كتاب الله واحد تكمل آياته بعضها البعض.

- وضعت الأسئلة لإثارة القارئ للتعرف إلى مغزى المطلوب من البحث.

- إن الله سبحانه لا يترك أمته دون بيان معالم طريقها اللاحق بكل احتياجاته.

- إن الفرق بين جعلية (النبوة) و(الإمامة) وفق الإشارة القرآنية زمانية الإشارة فحين تذكر (النبوة) يأتي الفعل الماضي (وجعلنا النبوة..) ومع الإمامة مثل الخلافة (إني جاعلك..) ليأتي اليوم الذي تختتم فيه (النبوة) فتعد من (الماضي) بينما تستمر (الإمامة) لاستمرار الدور!!

- وصفت الأسس، ورسم الطريق، وبان كل شيء، وعلى الناس إكمال البناء بعد فهم السر!

- اسم الإمام لم ينص عليه كما في النبوة لكن السنّة لم تبق شيئاً غامضاً..

- إن التأكيد على (الأقربين) وإنذارهم يحمل دلالته المتعلقة بما أفرزه (اللقاء) بما يكفي.

- لو اتفق الأولون على الصحيح الذي أمروا به لكانت الضمانة في قطع دابر كل فتنة وانشقاق.

- إن ما يمارس اليوم هو نتاج ذلك الزمن.. فهلا يقتنع المسلمون اليوم بأنه لن تقوم لهم قائمة إذا لم يتوصلوا إلى الطريق الأصوب ولو من خلال نموذج القواسم المشتركة قبل أن يخرج أحد بمذهب الآخر.

- إن غفلة الناس عن المطلوب أو تغافلهم هو سبب فوات فرصة البداية الصحيحة.

- لا نقصد إعادة عجلة التاريخ ونعلم أن ما نذكر هو ضرب من المحال.. لكنها الأمنيات كما هو الواجب في إعادة تذكير بعضنا الآخر، فلعل من ثلة تتبري لمثل هذا التصدي.. حتى لو طال بجهدها الزمن.. لكنها خطوة الألف ميل.. ومحاولة تجنب حفرة النار التي تهددنا نحن المسلمين..

فهل للعقلاء من لقاء ليسعدوا الناس ولو ببصيص أمل.. نسأل الله لهم الهدى ولتكن آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ■

في الذاكرة ..

شهر رجب الأصب

١ ولادة الإمام محمد الباقر عليه السلام سنة ٥٧ هـ ، في المدينة المنورة.

٢ ولادة الإمام علي الهادي عليه السلام سنة ٢١٤ هـ (على رواية) في المدينة المنورة.

٣ استشهاد الإمام علي الهادي عليه السلام سنة ٢٥٤هـ مسمومًا على يد المعتمد العباسي.

٥ استشـــهاد النحوي الإمامي ابن السكيت على يد المتوكل العباسي.

٨ ولادة الحر العاملي سنة ١٠٣٣هـ . صاحب كتاب وسائل الشيعة.

٩ هلاك المأمون العباسي سنة ٢١٨ هـ. .

١٠ ولادة الإمام محمد الجواد عليه السلام سنة ١٩٥هـ ، في المدينة المنورة.

١٢ دخول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة بعد حرب الجمل واتخاذها عاصمة له سنة ٣٦ هـ .

١٢ هلاك معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠ هـ .

١٣ ولادة إمام المتقين وســيد الموحدين أمــير المؤمنين الإمام علي بـــن أبي طالب عليه السلام في داخل الكعبة المشرفة قبل البعثة بعشر سنين.

١٥ تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام سنة ٢ هـ .

١٥ وفاة عقيلة الطالبيين السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام سنة ٦٢ هـ .

١٦ خروج فاطمة بنت أسد من داخل الكعبة المشرفة تحمل وليدها الإمام علي عليه السلام.

١٨ وفاة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله سنة ١٠ هـ ، وله من العمر سنة وعشرة أشهر .

١٨ هلاك المعتمد العباسي سنة ٢٧٩ هـ .

٢٠ وفاة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ .

٢٢ وفاة الشيخ جعفر الكبير قدس سره صاحب كتاب كشف الغطاء سنة ١٢٢٧ هـ .

٢٣ طعن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام على يد الجراح بن سنان في المدائن سنة ٤١ هـ .

٢٤ فتح خيبر على يد أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٧ هـ .

٢٤ رجوع جعفر بن أبي طالب عليه السلام من الحبشة سنة ٧هـ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أدري بأيهما أنا أشدّ فرحًا بقدوم جعفر أم بفتح خيبر».

٢٥ استشهاد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام في السجن ببغداد سنة ١٨٣هـ على يد هارون العباسي.

٢٦ وفاة أبي طالب عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله وحاميه وناصره سنة ١٠ من البعثة المباركة.

٢٧ البعثة النبوية الشريفة وبدأ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وعمره ٤٠ سنة .

٢٨ خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة ومنها إلى العراق سنة ٦٠ هـ .

* * * * *

شهر شعبان المعظم

١ وفاة شيخ الفقهاء صاحب الجواهر عام ١٢٦٦هـ.

٢ خروج النبي صلى الله عليه وآله لغزو بني المصطلق عام ٥هـ.

٣ ولادة سيد شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام عام ٤هـ.

٤ ولادة أبي الفضل العباس بن علي عليهما السلام عام ٢٤هـ.

٥ ولادة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام عام ٣٨هـ.

١١ ولادة علي الأكبر ابن الحسين عليهما السلام عام ٣٣هـ.

١٥ مولد منقذ البشرية صاحب الزمان الإمام المنتظر عليه السلام عام ٢٥٥هـ.

٢٠ وفاة سلطان الواعظين الشيرازي صاحب كتاب (ليالي بيشاور) عام ١٣٩١هـ.

٢٢ وفاة الشيخ محمد جواد البلاغي عام ١٣٥٢هـ.

٢٣ وفاة الفقيه المجدد المجاهد الميرزا محمد حسن الشيرازي عام ١٣١٢ هـ.

وقفة مع الذكرى..

زينب الكبرى عليها السلام

وفاتها ١٥ رجب سنة ٦٥ هـ

عقيلة بني هاشم زينب ابنة علي بن أبي طالب عليهما السلام، ولدتها الزهراء عليها السلام بعد شقيقها الحسين عليه السلام بسنتين، تزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار[١]، وكانت قطب دائرة العيال في المخيم الحسيني، فقد قاسمت أخاها الحسين عليه السلام نهضته، وتحملت آلام فاجعة الطف، ومعاناة الأسر ومسؤولية العيال والأطفال.

بعد رجوعها من أسر بني أمية إلى المدينة، أخذت تؤلب الناس على يزيد بن معاوية، فخاف والي المدينة (عمرو بن سعيد الأشدق) انتقاض الأمر، فكتب إلى يزيد بالحال فأتاه كتاب يزيد يأمره بأن يفرق بينها وبين الناس، فأمر الوالي بإخراجها من المدينة إلى حيث شاءت، فأبت الخروج من المدينة وقالت: قد علم الله ما صار إلينا، قتل خيرنا وسقنا كما تساق الأنعام، وحملنا على الأقتاب، فوالله لا أخرج وإن أهرقت دماؤنا[٢]. فقالت لها زينب بنت عقيل: يا ابنة عماه قد صدقنا الله وعده وأورثنا الأرض نتبوأ منها ما نشاء فطيبي نفسًا وقَرّي عينا وسيجزي الله الظالمين، أتريدين بعد هذا هوانا، إرحلي إلى بلد آمن، ثم اجتمعت عليها نساء بني هاشم وتلطفن معها في الكلام[٣]، يقول الرواة: وإن مجاعة أصابت المدينة فرحلت عنها مع زوجها عبد الله بن جعفر إلى الشام في ضيعة له هناك، وقد حمَّت عليها السلام من وعثاء السفر أو ذكريات أحزان وأشجان من عهد سبي يزيد لآل الرسول صلى الله عليه وآله[٤]، فلما قرب منها الموت وحانت منها المنية، اضطجعت على فراشها واستقبلت القبلة، وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن جدي محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى

وديـن الحـق ليظهره عـلى الدين كلـه ولو كره المشركـون، وأن أبي أمـير المؤمنـين عـلي بـن أبي طالـب، وأخوي الحسـن والحسـين وعلي بـن الحسـين وبقيـة الأئمـة الطاهريـن عليهم السلام أئمتـي وأوليائـي وإن جميـع ما جـاء به جدي رسـول الله صلى الله عليه وآله حـق ومـن عنـد الحـق، وأن الجنـة والنار حـق، وأن السـاعة آتيـة لا ريب فيهـا، وأن الله يبعـث مـن في القبـور، وكأني بهـا (سـلام الله عليهـا) عنـد احتضـار الموت قد غمضـت عينيهـا ومـدت يديهـا ورجليها وقـرأت سـورة يـس والصافـات، وفاضـت نفسـها الطيبـة وفارقـت روحهـا الدنيـا، وكأني بمـن حـضر هـذه الكارثـة العظمـى والفادحـة الكـبرى مـن نسـاء ورجـال قـد عـلا منهـم الصيـاح، وارتفـع النيـاح، وكثـر منهم الضجيـج والعجيج، ولطمـوا الخدود، وشـققوا الجيـوب، ونـادوا بالويـل والثبـور وعظائـم الأمـور، فلـم يـر في ذلك اليـوم إلا بـاك وباكيـة ونـاع وناعيـة، ونائـح ونائحـة، وصـارخ وصارخـة، ينـادون وازينبـاه، واسـيدتاه، واغريبتاه، وامصيبتـاه، وافجعتاه، واوحشـتاه، واطول حزنـاه، واثكلاه، وقاموا في جهازهـا، فغسـلوها وكفنوهـا، وصلـوا عليهـا، ودفنوهـا في قبرهـا، حيـث المـزار المشـهور في الشـام، وكان ذلـك في النصـف من رجب سـنة خمس وسـتين من الهجـرة[٥].

(١) أسد الغابة: ٥ – ٤٦٩.
(٢) قاموس الرجال/ التستري ص٤٠.
(٣) رجـال تركوا بصـمات على قسـمات التاريخ/ لطيف القزويني ص١٧٧.
(٤) مجموعة وفيات الأئمة ص ٤٧٠.
(٥) نفس المصدر.

وقفة مع الذكرى..

وفاة الشيخ محمد جواد البلاغي قدس سره
في ٢٢ شعبان سنة ١٣٥٢ هـ

اسمه: الشيخ محمد جواد بن الشيخ محمد حسن بن الشيخ طالب البلاغي النجفي الربعي.

مولده: ولد في النجف الأشرف سنة ١٢٨٢هـ.

نشأته وشيوخه وسجاياه: نشأ في النجف، وأخذ المقدمات فيها، ثم سافر إلى الكاظمية سنة ١٣٠٦هـ. عاد إلى النجف الأشرف سنة ١٣١٢هـ ليأخذ عن أعلامها الأفاضل ثم هاجر إلى سامراء سنة ١٣٢٦هـ فحضر دروس الميرزا محمد تقي الشيرازي ـ زعيم الثورة العراقية ـ عشر سنين، وألف هناك عدة كتب، وغادرها إلى الكاظمية فمكث بها سنتين مؤازرًا للعلماء في الدعاية للثورة ومحرضًا لهم على طلب الاستقلال. ثم عاد إلى النجف الأشرف وواصل نشاطه في التأليف، فكان من أولئك الندرة الأفذاذ الذين أوقفوا حياتهم وكرسوا أوقاتهم لخدمة الدين والحقيقة، كما تصدى للفرق المنحرفة الهدامة ـ كالبابية والقاديانية والوهابية والإلحادية وغيرها ـ فكتب في ردهم ودحض شبهاتهم، وفضح توافه مبانيهم عدة كتب ورسائل قيمة.

أساتذته: درس الفقه والأصول والحديث وعلم الرجال وغيرها عند كثير من العلماء البارزين آنذاك منهم:

١ـ الشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بالآخوند الخراساني.

٢ـ آية الله السيد حسن الصدر.

٣ـ العلامة الشيخ محمد طه نجف.

٤ـ العلامة المحقق آية الله الشيخ رضا الهمداني. وغيرهم.

تلامذته: درّس كثيرًا من الطلبة الذين تألّق نجمهم في سماء العلم والتقوى، أشهرهم:

١ـ آية الله العظمى الشيخ محمد رضا آل فرج الله. الذي كان من المراجع في النجف.

٢ـ المرجع السيد شهاب الدين محمد

حسين الحسيني المرعشي ألنجفي.

٣ـ العلامة المحقق السيد محمد صادق بحر العلوم.

٤ـ آية الله الشيخ علي محمد البروجردي.

٥ـ آية الله السيد صدر الدين الجزائري.

٦ـ المرجع الكبير آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره.

صفاته:لقد تمثلت فيه أغلب الصفات الحميدة، ومن أبرز تلك الصفات إحياؤه لمناسبات أهل البيت عليهم السلام، وقد انتشرت في زمانه بعض الشبهات، التي كانت تسعى إلى التقليل من شأن الذين يهتمون بإقامة مراسم عزاء الإمام الحسين عليه السلام فأخذ يشترك بنفسه في مواكب العزاء وأسس موكبًا بقي بعده لزمن طويل حتى منعه البعثيون عام ١٩٨٠م.

لقد وظف العلامة البلاغي هذا القول توظيفاً عملياً دقيقاً، فقد كان مستفيداً من أوقاته كافة، لا يضيعها في الأمور التي لا طائل فيها، وظل مستمرًا على ذلك حتى نهاية عمره.ـــ

ومن الخصال التي كانت طاغية على الشيخ هو الزهد والتقشف متشبها في ذلك بإمام المتقين علي أمير المؤمنين عليه السلام، في الزهد والابتعاد عن مظاهر الإسراف والترف.

مؤلفاته: له تأليفات كثيرة ومتنوعة في مجالات العلوم الإسلامية المختلفة نذكر بعضها:

١ـ تفسير القران (آلاء الرحمن) وقد (لبى نداء ربه قبل إتمامه هذا التفسير).

٣ـ الهدى إلى دين المصطفى (عقائد).

٤ـ الرحلة المدرسية: أثبت فيه أن الإسلام هو الدين الخالد الملائم لكل زمان ومكان.

٥ ـ التوحيد والتثليث: كتبه جواباً على رسالة لأحد المسيحيين من سورية.

٦ـ أنوار الهدى: في إثبات وجود الله، والرد على الماديين. وكتب أخرى كثيرة، إضافة إلى ما كتبه في الأدب: فإن الشيخ البلاغي يعد من الشعراء الكبار.

وفاته ومدفنه: توفي ـ نور الله مرقده ـ بمرض ذات الجنب، ليلة الاثنين ٢٢ شعبان ١٣٥٢ هـ، فارتجت مدينة النجف بأكملها واجتمعت إلى بيته، وشيع تشييعًا يليق بمقامه، سار فيه آلاف من الجماهير يتقدمهم عظماء المجتهدين وأساطين العلم والأدب، ودفن في الحجرة الثالثة الجنوبية من طرف مغرب الصحن الشريف لمرقد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي حجرة آل العاملي.

مقتبس من مقدمة كتاب: (الهدى إلى دين المصطفى للشيخ البلاغي).
بقلم توفيق الفكيكي

الصحابي المغمور

عثمان بن مظعون

خادم أهل البيت عليهم السلام •

إن من المفترض تدوين التأريخ الإسلامي بكل تفاصيله التأريخية، وما اكتنفه من أصحاب وأحداث كانت تحوم حوله، لأنه هو الإرث الثقافي والمعرفي لدى الفرد المسلم.

ومع ذلك نرى كثيراً من القضايا التأريخية والشخصيات الإسلامية لم تعط حقها من الذكر ولم تسلط عليها الأضواء، بل غابت عن وجدان المسلم.

من تلك الشخصيات الهامة التي غابت عن السطور الشخصية والتي نحن بصدد تسليط الضوء عليها (عثمان بن مظعون).

ينابيع

عندما بُعث النبي صلى الله عليه وآله بالرسالة السماوية لم يعلن عنها في بادئ الأمر، وذلك بأمر من الله تعالى إلا في ضمن أقربائه وعشيرته، حيث قال عز اسمه (وأنذر عشيرتك الأقربين).

فدعا صلى الله عليه وآله أقرباءه في واقعة الدار المعروفة، ودعاهم إلى شهادة (أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله)، فأول من آمن به وأطاعه وبذل مهجته دونه وجاهد بين يديه في سبيل الله (عز وجل) هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما أن أول امرأة آمنت به وأطاعته وبذلت مالها في سبيل دعوته ورسالته هي زوجته الطاهرة (خديجة) عليها السلام.

ثم توسعت دعوته فآمن به عدة قليلة من أصحابه المخلصين، وقد أخذ الإسلام مأخذه في نفوسهم، فكانوا ذا ورع وتقى وعبادة، وانقطاع عن الدنيا ولذاتها وشهواتها، ومن أولئك الصحابي

قبر عثمان بن مظعون في بقيع الغرقد

الجليل (عثمان بن مظعون)، حيث ذكرت النصوص التأريخية أنه آمن بعد ثلاثة عشر رجلاً من المسلمين.

اسمه ونسبه:

قد ذكر المؤرخون اسمه ونسبه من دون اختلاف في سلسلة آبائه ففي الإصابة (هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي)[1].

وأضاف بعضهم (القرشي المدني) لكنها لا ترجع إلى اختلاف في النسب، إلا أن المهم أن بعض المصادر التاريخية ضبطته (مضعون) بالضاد، والظاهر أنه سهو، لأن (مظعون) بالظاء المعجمة من الظعن الذي هو ضد الإقامة، مع أنه ليس في اللغة (ضعن) بالضاد المعجمة، ولذا يقرب ضبطه كما ضبطناه، وضبطه في الإصابة، وكثير من مصاد التراجم والمصادر التاريخية.

إسلامه وعبادته:

روى ابن إسحاق: (أسلم عثمان بن مظعون بعد ثلاثة عشر رجلاً)[2]، وروي

أنه قال: (إني أسلمت استحياءً من رسول اللّه صلى الله عليه وآله لكثرة ما يعرض علي الإسلام).

وفي مجمع البيان: (لم يستقر في قلبي ـ الإسلام ـ حتى كنت ذات يوم جالساً عند رسول اللّه صلى الله عليه وآله وهو يحدثني إذ شَخَص ببصره نحو السماء كأنه يستفهم شيئاً، فلما سرى عنه سألته عن حاله قال: نعم بينما أنا أحدثك إذ جاءني جبرئيل بهذه الآية (**إن الله يأمركم بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر يعظكم لعلكم تذكرون**) فلما سمعتها استقر الإسلام في قلبي)[٣].

وذكر ابن إسحاق: (أنه كان من أشد الناس اجتهاداً في العبادة، يصوم النهار ويقوم الليل ويتجنب الشهوات ويعتزل النساء)[٤]، وعن سعد بن مسعود: (أن عثمان بن مظعون أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: ائذن لنا في الاختصاء)[٥]، كما ذكرت نصوص كثيرة أنه جاء إلى النبي يطلب منه الإذن في السياحة، كما سيمر علينا.

وهذا يكشف أنه كان غاية في العبادة والورع والتقى، وفي الدرجات العالية منها، حتى ذكر أبوأمامة والطبراني:«خرج رسول اللّه صلى الله عليه وآله من بيت عثمان بن مظعون فوقف على الباب فقال: مالك ياكحيلة متبذلة؟ أليس عثمان شاهد؟ قالت: بلى، وما اضطجع على فراش منذ كذا وكذا، ويصوم النهار فلا يفطر، فقال: مريه أن يأتيني، فلما جاء قالت له، فانطلق إليه فوجده في المسجد، فجلس إليه فأعرض عنه فبكى، ثم قال: قد علمت أنه قد بلغك عني أمر، قال: أنت الذي تصوم النهار وتقوم الليل لا يقع جنبك على فراش، قال عثمان: قد فعلت ذلك ألتمس الخير، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لعينك حظ، ولجسدك حظ، فصم وأفطر، ونم وقم، وائت زوجك، فإني أنا أصوم وأفطر، وأنام وأصلي، وآتي النساء، فمن أخذ بسنتي فقد اهتدى، ومن تركها ضل، وإن لكل عمل شرة ولكل شرة فترة، فإذا كانت الفترة إلى الغفلة فهي الهلكة، وإذا كانت الفترة إلى الفريضة فلا يضر صاحبها شيئاً، فخذ من العمل ما تطيق، فاني إنما بعثت بالحنفية السمحة، فلا تثقل عليك عبادة ربك لا تدري ما طول عمرك)[٦].

وهذا دليل على رقة قلبه ببكائه حين أعرض عنه صلى الله عليه وآله، واهتمامه برضاه عنه، كما أنه يظهر اهتمام النبي صلى الله عليه وآله به حين طلبه إلى المسجد ولم يتركه حتى يهلك. وقد روى في الكافي هذه الحادثة بصورة أخرى مشابهة عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: (جاءت امرأة عثمان بن مظعونٍ إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول اللّه إنّ عثمان يصوم النّهار ويقوم اللّيل، فخرج رسول اللّه صلى الله عليه وآله مغضباً يحمل نعليه حتّى جاء إلى عثمان، فوجده يصلّي، فانصرف عثمان حين رأى رسول اللّه صلى الله عليه وآله فقال له: يا عثمان لم يرسلني اللّه تعالى بالرّهبانيّة، ولكن بعثني بالحنيفيّة السّهلة السّمحة، أصوم وأصلّي، وألمس أهلي، فمن أحبّ فطرتي فليستنّ بسنّتي، ومن سنّتي النّكاح)[٧].

وروى في البحار قال: روي عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله أنّه وصف القيامة لأصحابه يوماً، وبالغ في إنذارهم، فرقّوا، فاجتمعت جماعة من الصّحابة في بيت عثمان بن مظعونٍ واتّفقوا على أن لا يزالوا

صائمين قائمين، وأن لا يأكلوا اللّحم، ولا يناموا على الفراش، ولا يقربوا النّساء، والطّيب، ويرفضوا لذّات الدّنيا، ويلبسوا المسوح - أي الصّوف - ويسيحوا في الأرض - أي يسيروا - فبلغ رسول اللّه ﷺ ذلك، فقال: إنّي لم أؤمر بذلك، إنّ لأنفسكم عليكم حقّاً، فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا، فإنّي أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآكل اللّحم والدّسم، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي)[٨].

وقد روى في الكافي ما هو قريب من هذا الشأن عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: (قال عثمان بن مظعونٍ لرسول اللّه ﷺ قد أردت أن أدع الطّيب وأشياء ذكرها. فقال رسول اللّه ﷺ لا تدع الطّيب فإنّ الملائكة تستنشق ريح الطّيب من المؤمن، فلا تدع الطّيب في كلّ جمعة)[٩]. وعن عثمان بن مظعونٍ قال: قلت لرسول اللّه ﷺ: (إنّ نفسي تحدّثني بالسّياحة وأن ألحق بالجبال، قال يا عثمان لا تفعل، فإنّ سياحة أمّتي الغزو والجهاد)[١٠].

كما قد ذكر بعضهم أن النبي ﷺ آخا بينه وبين أبي الهيثم بن التيهان الصحابي الجليل الذي كان من النقباء العشرة، وشهد بدراً، واحداً، والخندق، وباقي المشاهد[١١]. وهو الآخر يكشف عن مدى شخصية هذا الرجل ليؤاخي النبي بينه وبين أبي الهيثم رضي الله عنه.

هجرته الأولى للحبشة

عندما حاصر المشركون أصحاب النبي الأكرم ﷺ أشد الحصار ونالوا منهم أنواع التعذيب والترهيب، أمرهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، وقال لهم إن بها حاكماً عادلاً، فاطلبوا جواره، فكانت الهجرة إلى الحبشة هذه بداية سفارة للمسلمين في أرض الحبشة، وكان زعيمها جعفر بن أبي طالب الطيار رضي الله عنه، وكان من جملة المهاجرين عثمان بن مظعون، وعمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود، إلى اثنين وثمانين رجلاً[١٢].

زوجته وذريته

لم يذكر التأريخ أن لعثمان بن مظعون ذريتة، أولاداً وبنات إلا ولداً واحداً وهو المسمى بـ(السائب) وكان يكنى به، والذي يظهر من بعض النصوص التاريخية أن إسلامه كان بعد إسلام أبيه، فقد ذكر ابن إسحاق: (أنه أسلم أناس من قبائل العرب، وكان منهم السائب بن عثمان بن مظعون)[١٣]، كما ذكر أنه أسلم في بداية الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، وشهد بدراً، والمشاهد، واستشهد باليمامة، واستعمله النبي ﷺ على المدينة في غزوة بواط)[١٤]، وإن صحت هذه الرواية فإن استخلاف النبي ﷺ له على المدينة يعطي مؤشراً مهماً إلى مدى أهمية (السائب) لديه وأنه يمثله في غيابه في المدينة المنورة.

وأما زوجته فهي (خولة بنت حكيم بن الأوقص السلمية) من المؤمنات الصالحات، العارفات بحق النبي ﷺ، وهي من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي الأكرم ﷺ.

فقد حدث هشام بن محمد عن أبيه قال: (كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فأرجأها، وكانت تخدم النبي ﷺ، وتزوجها عثمان

بن مظعون فمات عنها)[١٥] فهي قبل اتصالها بزوجها كانت ممن تخدم النبي ومن العارفات بحقه صلى الله عليه وآله.

بل من المتابعات لشؤونه الخاصة حتى كانت تشفق عليه ، وتحاول التخفيف عن كاهله الشريف فعند فقد خديجة ـ مع انكباب قريش عليه، وتأليبهم ـ كان يعاني من الآلام ما لا يعلمه إلا الله (عز وجل)، فكانت هذه المرأة الصالحة تتعاهده بين الحين والآخر، وتحاول التخفيف من آلامه.

فقد حدث بعض المؤرخين أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: (يا رسول الله كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة! فقال: أجل، كانت هم العيال وربة البيت، قالت: أفلا أخطب عليك؟ قال: بلى فإنكن معشر النساء أرفق بذلك، فخطبت عليه سودة بنت زمعة من بني عامر بن لؤي، وخطبت عليه عائشة بنت أبي بكر، فبنى بسودة بمكة، وعائشة يومئذ كانت بنت ست سنين، حتى بنى عليها حين قدم المدينة)[١٦].

وفاته

بالرغم مما حظي به هذا الرجل من الكرامة والاتصال بالنبي صلى الله عليه وآله في حياته فقد حظي بذلك بعد وفاته، وقلما نجد من الأنصار أوالمهاجرين من حصل على مكانة كما حصل عليها هذا الرجل، فإنه عندما توفي وهو أول متوفى من المهجرين في المدينة، بعد أن شهد بدراً في السنة الثانية للهجرة، كان أول من دفن في البقيع[١٧]، ثم وسمه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بوسام شرف إلى يوم القيامة.

فقد حدث بن إسحاق أن رسول الله قبّل عثمان بن مظعون بعدما مات[١٨]، كما روى في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إنّ رسول الله ص قبّل عثمان بن مظعون بعد موته)[١٩].

وقيل لما غسل وكفن قبّل رسول الله صلى الله عليه وآله بين عينيه ، فلما دفن قال: (نعم السلف هو لنا عثمان بن مظعون)[٢٠]، كما ذكر في الاستيعاب أيضاً (أن عثمان بن مظعون لما مات وغسل وكفن جاء رسول الله صلى الله عليه وآله إليه وقبّل ما بين عينيه، وبكى حتى رؤي وعيناه تذرفان دموعاً)[٢١].

وروى الترمذي عن عائشة قالت: (قبّل النبي صلى الله عليه وآله عثمان بن مظعون وهو ميت وهو يبكي وعيناه تذرفان)[٢٢]. فهنيئاً لك يا أبا السائب بكاء النبي عليك وتقبيله إياك.

ولم ينته التكريم والتعظيم لهذا الرجل من قبل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حتى ذكر أرباب السير والمؤرخون أنه صلى الله عليه وآله بعد ما دفنه أمر رجلاً أن يأتيه بحجر فلم يستطع حملها، فقام إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وحسر عن ذراعيه، ثمّ حملها فوضعها عند رأسه، وقال: (أعلم بها قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي)[٢٣].

ولذا نجده صلى الله عليه وآله عندما مات إبراهيم عليه السلام ابنه دفنه عنده في حادثة رواها في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (سمع النبيّ صلى الله عليه وآله امرأةً حين مات عثمان بن مظعون وهي تقول: هنيئاً لك يا أبا السّائب الجنّة.

فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله وما علمك! حسبك أن تقولي: كان يحبّ الله عزّ وجلّ ورسوله، فلمّا مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله هملت عين رسول الله صلى الله عليه وآله بالدّموع، ثمّ قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: تدمع العين ويحزن القلب

ولا نقول ما يسخط الرّبّ، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون، ثمّ رأى النّبيّ صلى الله عليه وآله في قبره خللًا فسوّاه بيده، ثمّ قال: إذا عمل أحدكم عملًا فليتقن، ثمّ قال: الحق بسلفك الصّالح عثمان بن مظعون)[٢٤]، وفي بعضها أنه دفنه عنده.

وهكذا لما ماتت رقية بنت النبي صلى الله عليه وآله، وكانت زوجة لعثمان بن عفان - في حادثة معروفة، ذكرها بعض المؤرخين - دفنها عند عثمان بن مضعون.

فقد روى في الكافي عن أبي بصير عن أحدهما عليه السلام قال: (لمّا ماتت رقيّة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحقي بسلفنا الصّالح عثمان بن مظعون وأصحابه، قال: وفاطمة عليها السلام على شفير القبر تنحدر دموعها في القبر ورسول الله صلى الله عليه وآله يتلقّاه بثوبه قائماً يدبعو. قال: إنّي لأعرف ضعفها، وسألت الله عزّ وجلّ أن يجيرها من ضمّة القبر)[٢٥].

التسمية باسمه

حفلت المصادر التأريخية عن اسم عثمان بن أمير المؤمنين عليه السلام، الذي استشهد مع أخيه الحسين عليه السلام في طف كربلاء، وكانت الحجة أنه إنما سمى ولده بهذا الاسم تقرباً من الخليفة الثالث، وتجنباً للعداء والبغضاء، ومحافظة على الألفة والمحبة بين خلفاء المسلمين، لكن عندما نمعن في المصادر التأريخية نجد الأمر على خلاف ذلك، وأنه سماه تيمناً باسم أخيه عثمان بن مظعون، ففي مقاتل الطالبيين عن هبيرة بن مريم قال: كنا جلوساً عند علي عليه السلام فدعا ابنه عثمان فقال له: ياعثمان، ثم قال: إني لم أسمه باسم عثمان ذلك الشيخ ..إنما سميته باسم أخي عثمان بن مظعون[٢٦].

كما ورد في زيارة الناحية في السلام على أصحاب الحسين واللعن على قاتليهم (السلام على عثمان بن أمير المؤمنين سمي عثمان بن مظعون).

وهو تأكيد من قبل الأئمة عليهم السلام على جلالة قدر هذا الرجل العظيم، وعدم محاباة الإمام أمير المؤمنين للعصاة والخارجين. فسلام على عثمان بن مظعون حياً وميتاً ■

---

(١) الاصابة في معرفة الصحابة ٣٨١/٤ رقم ٥٤٦٩.
(٢) من له رواية في مسند أحمد ص٢٩٠.
(٣) مجمع البيان ٣٨٠/٣.
(٤) من له رواية في مسند احمد ص٢٩٠.
(٥) الإصابة ٦٩/٣.
(٦) مجمع الزوائد ٢٦٠/٢.
(٧) الكافي٤٩٥/٥.
(٨) بحار الأنوار١١٢/٦٢.
(٩) الكافي٥١١/٦.
(١٠) تهذيب الأحكام١٢٢/٦.
(١١) الفوائد الرجالية ١٩٦/٣.
(١٢) متشابه القران٣٥/٢ .
(١٣) امتاع الاسماع ١٠١/٩.
(١٤) الإصابة ٣/رقم الترجمة (٣٠٧٥).
(١٥) الطبقات الكبرى١٥٨/٨.
(١٦) الطبقات الكبرى٥٧/٨.
(١٧) الاستيعاب٣ رقم الترجمة١٧٧٤.
(١٨) ن.م.
(١٩) الكافي١٦١/٣.
(٢٠) الاستيعاب٣/رقم الترجمة١٧٧٤.
(٢١) الشفاء الروحي ١٦٦.
(٢٢) الإصابة٤/رقم الترجمة٥٤٦٩.
(٢٣) سنن أبي داوود٢١٢/٣.
(٢٤) الكافي ٢٦٣/٣.
(٢٥) الكافي٢٤١/٣.
(٢٦) مقاتل الطالبيين/٥٥.

من أعلام كربلاء..

السيد محمد هادي الخراساني الحائري

(١٢٩٧ - ١٣٦٨هـ)

د. سلمان هادي آل طعمة •
كربلاء المقدسة

إذا تأملنا ما يحدث بعمق وتجرد وموضوعية، وإذا استعرضنا الأحداث التي مرت بها مدينة كربلاء منذ الأربعينيات حتى الآن، فإننا نجد قائمة طويلة من الأعلام عاشوا محنة احتلال العراق من قبل المستعمرين، وجاهدوا ببطولة في صد العدوان على الشعب العراقي المسلم ومنهم آية الله السيد محمد هادي الخراساني الحائري تغمده الله برحمته.

ينابيع

فهو بحر زاخر ومرجع فاخر لما له من خدمات صادقة وأعمال جليلة للإسلام والمسلمين. كان متألقاً في تدريسه، عملاقاً في تفسير الآيات القرآنية، وله تأثير كبير في جذب المتلقي لقوة شخصيته وسرعة بديهيته وقوة حجته وقابليته على المحاججة والمناقشة والإقناع، ولطلبته أمثلة كثيرة في هذا الشأن.

تجمعني بآية الله الخراساني ذكريات الجيرة الخالدة التي لا تمحى، بل تزداد طراوة كلّما مر عليها الزمن، فقد رأيته في فجر حياتي وبالتحديد سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٧م وهو في أيامه الأخيرة من حياته، صاحب الوجه النوراني والقلب الرباني، وتشرفت بالحضور في منزله بمحلة باب الطاق بالقرب من طاق الزعفراني، للاستلهام من فيض عواطفه ومواعظه، فقد امتلك الحب والصدق والرقة والحزن بلا حدود، يحاول أن يجتذب إليه الطلبة المستنيرين الأثيرين. كانت داره مهداً

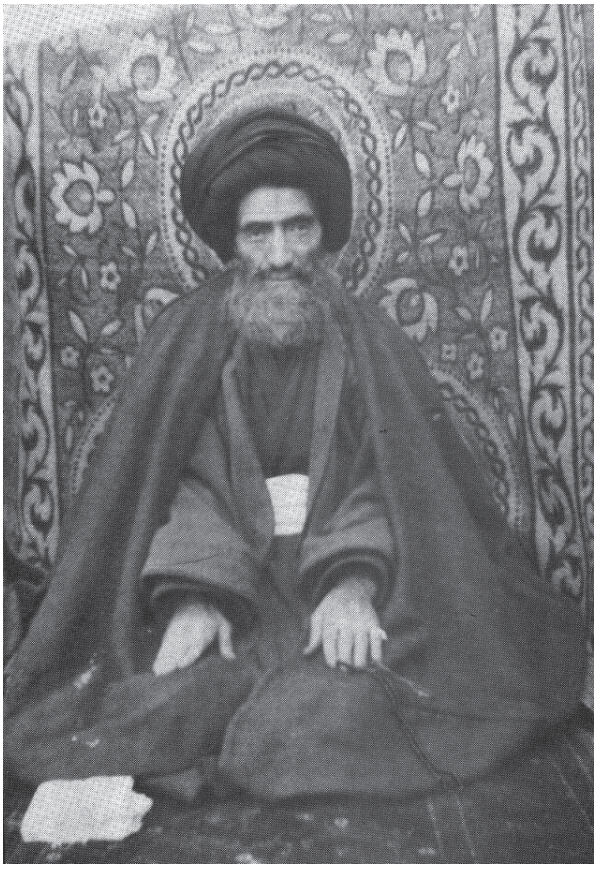

لدراسات بحث الخارج، وميداناً تتلاقح فيه الأفكار وتتبارى القرائح وتتسابق الخواطر. والجدير بالذكر أن شغفه باكتساب المعرفة قد أغراه بالاستزادة من هذا الزاد العلمي.

أسرته

اشتهرت هذه الأسرة بالفضل وتوارثت العلم كابراً عن كابر، فهي شجرة وارفة الظلال، كريمة النجار، ميزها الله بالمجد والجاه، وبرزت في مدينة تحمل في جوانبها أجواء المجتمع المنفتح على الثقافة، تلك هي كربلاء منبت الفقهاء والمحدثين والرواة، وموئل الكتاب والشعراء، ونبغ في هذه الأسرة رهط من العلماء منهم السيد علي البجستاني وولده السيد محمد هادي وحفيده السيد مهدي. وقد امتازت هذه الأسرة بكونها منفتحة على بقية الأسر، إذ كانت لها علاقات اجتماعية مع عدد قليل من أسر العلم وغيرها.

اسمه وولادته

هو المغفور له السيد ميرزا هادي أو

محمد هادي ابن العالم السيد علي بن العالم السيد محمد الخراساني الحائري أحد الأعلام البررة، وعرف بذكائه المفرط ووفور علمه وسعة إطلاعه وحديثه العذب، تفتحت عيناه في مدينة كربلاء ليلة الجمعة سنة ١٢٩٧هـ[١] وانصهر في أتونها صبياً وشاباً، ونشأ في كنف أبيه وقرأ القرآن وشيئاً من العلم، قرأت في مذكراته ما هذا نصه: (كان بدء نشأتي في الحضرة الحسينية وببالي أن والدي رجع من إيران وأنا ابن أربع سنين، وكان ذلك في حدود سنة ١٣٠١هـ[٢] ونحن في كربلاء، وبعد سنين أودعوني عند بعض معلمات الأطفال، فأتقنت قراءة القرآن والأدعية، وأنا ابن سبع سنين بصورة جيدة، وبعد الثامنة نقلوني إلى معلم كان يعلم الأطفال في صحن سيدنا العباس عليه السلام وهو المرحوم السيد محمد تقي الشيرازي، فقرأت القرآن عنده أيضاً، وابتدأت بالكتابة لديه، وكان حسن الخط على كبر سنّه، وبعد ذلك نقلوني إلى مجلس الأستاذ الفاضل كامل عصره الشيخ موسى القزويني المعروف بـ (المكتبدار) وكان شيخاً فاضلاً ديّناً جليلاً حسن الخط يحضر لديه غالب أولاد الفضلاء والأعيان، وقد درست لديه كتاب الجوهري، لكنني كنت قد قرأت بعضاً منه عند بعض السادة في النجف الأشرف إبان تشرفنا للزيارة، كان يسكن الطابق العلوي من حجرات الصحن العلوي الشريف، وأكملت الكتاب لدى الشيخ موسى، كما قرأت عنده كتاب كلستان سعدي وكتاب نصاب الصبيان)[٣].

وعندما عاد إلى مسقط رأسه كربلاء تزوج بكريمة السيد صادق صهر المرحوم العالم السيد هاشم القزويني الحائري ثم توفيت سنة ١٣٤٠هـ[٤].

أساتذته

سافر السيد الخراساني إلى سامراء فدرس عند آية الله السيد محمد حسن الشيرازي، ثم قرأ في إيران عند السيد محسن الشيرازي (دست غيب) جزءً من كتاب (جامع المقدمات)، ولما عاد إلى كربلاء اشتغل لدى الشيخ موسى القزويني بالعلوم العربية كالصرف والنحو، كما درس شرح النظام والمغني لابن هشام والأسطرلاب والعلوم الغربية كالجفر والطلسمات ودرس الرياضيات ومنطق التهذيب وحاشية على شرح النظام وشرح الخلاصة للألفية والسيوطي والمغني[٥].

وفي كربلاء انشغل بالدروس الفقهية والأصولية، ثم هاجر إلى النجف الأشرف حيث درس على المراجع العظام وأشهرهم:

١- المولى محمد كاظم الخراساني.
٢- شيخ الشريعة الأصفهاني.
٣- السيد محمد كاظم اليزدي[٦].

ثم سافر إلى سامراء سنة ١٣٢٠هـ فدرس على الشيخ محمد تقي الشيرازي وعاد معه إلى كربلاء للاشتغال بالثورة ومقارعة الغزو البريطاني للعراق.

تلامذته

لا يخفى على القارئ أن السيد الخراساني كان أستاذاً قديراً تتلمذ على يديه جملة من الأعلام الذين أصبحوا فيما بعد مبرزين في ميدان العلم،ولهم موقع الصدارة في حوزة كربلاء العلمية،نذكر منهم:

١- سماحة العلامة المجتهد الكبير

السيد محمد مهدي الكاظمي الموسوي.
٢- سماحة العلامة الحجة السيد أسد الله الأصفهاني.
٣- سماحة العلامة الحجة السيد مرتضى الطباطبائي.
٤- سماحة العلامة المدرس السيد عبد الله الخوئي.
٥- سماحة الحجة الزاهد الشيخ مهدي الرشتي.
٦- سماحة العلامة الحجة السيد مصطفى الشيرازي.
٧- سماحة الشيخ عبد الحسين نجل المرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي[٧].

في ساحة الجهاد

جاء في كتاب (سيرة آية الله الخراساني) ما يلي: (من جملة ما قام به آية الله الميرزا محمد تقي الشيرازي هو التصدي للمحاولة الخبيثة التي أراد المحتلون إجراءها في العراق بنصب حاكم إنجليزي على الشعب العراقي المسلم فقرر المستعمرون إجراء استفتاء عام بشأن الحكومة التي يختارها الشعب العراقي المسلم، وفي نفس الوقت كانوا يركزون على نصب أمير إنجليزي لإدارة البلاد، فأخذوا يبثون دعاياتهم بواسطة العملاء بين الصفوف لتكوين الأكثرية من الآراء إلى جانب هذه الفكرة لكن تنبه الأحرار المؤمنون للخطة المدبرة، فهبوا إلى تنظيم سؤال من الزعيم الأعلى الشيخ الشيرازي بشأن جواز انتخاب غير مسلم للأمارة على المسلمين فأصدر فتوى ت٧٧نص على أن (ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطة على المسلمين)[٨]. فوقعها هو ووافقه على ذلك أعلام الأمة ووقعوها أيضاً ومنهم آية الله الخراساني. وقد كتب ما نصه: بسم الله تعالى شأنه. رقمه الأحقر الجاني ابن علي الهادي الحسيني الخراساني)[٩]. ثم إنه تصدى لقمع الحركة الوهابية في العراق المتمثلة في محاربة الشعائر الحسينية، وأصدر في ذلك بلاغاً نشره، وهو كتاب أسماه (دعوة الحق) وهو في الرد على الوهابية، كما سيأتي ذكره ضمن آثاره.

أقوال العلماء والكتاب فيه

أثنى العلماء و الكتاب على منزلته العلمية، وهم كثيرون، وقد اخترت للقارئ الكريم قول علمين من أقوال أهل العلم فيه واتفاق آرائهم على علو كعبه في كل ما ذكرنا من نواحي العلم والأدب.

قال العلامة الشيخ محمد صالح الكاظمي: (وهو السيد الجليل والعالم النبيل الذي لم يسمح بمثله الدهر ومن بحر علم يلفظ الدرر، الغاية القصوى والآية الكبرى، عضد الدين الحنيف، مالك أزمّة التأليف والتصنيف، الساهر بالرواية والدراية، موضح الفروع والسنن المشروح صدره للعلوم شرحاً السيد السند المتصل النسب بالنبي صلى الله عليه وآله حجة الإسلام آية الله في الأنام أعلم العلماء الأعلام ومولانا السيد ميرزا هادي الخراساني أصلاً الحائري مولداً)[١٠].

وقال العلامة المحقق السيد محمد مهدي الموسوي الكاظمي في كتابه (أحسن الوديعة) ما يلي: (أن سماحة عماد الفقهاء الراشدين وسناد الأعلام الورعين الميرزا هادي الخراساني من أساطين أعاظم المجتهدين الجامعين للشرائط وهذا

في غاية الوضوح، كان من أكابر فضلاء المعقول والمنقول وكان عارفاً بالرجال والتاريخ والحديث والتفسير والعربية، ماهراً في الفنون العقلية والنقلية تلمذنا عليه سنين عديدة واستفدنا من جنابه مدة مديدة وأجازنا بتمام طرقه)[11].

تراثه ومؤلفاته

للسيد الخراساني مكتبة قيّمة[12]، وفيها من المطبوع والمخطوط ما جعلها خزانة جامعة، وعنى في تنظيمها وجعل لها فهرساً خاصاً بالمخطوطات، ورتب كتبها على حروف الهجاء وهي كالآتي: الأدب ودواوين الشعر، أصول الفقه، التاريخ، التصوف، التفسير، الجغرافية، الحديث، الحساب، الجبر، المقابلة، الحكمة وغيرها. أما المجاميع التي فيها كتب ورسائل فقد دخلت ضمن هذه العناوين. وحينما رجعت إلى مخطوطاته، وجدت آثار السيد واضحة فيها، وكل صفحة من كتبه تنطق بجهده ومثابرته، وتفيد بأنه قرأ الكتاب عدة مرات وأستوعبه تماماً، فالهوامش مليئة بتصويباته وتعليقاته، إذا مرّ بجملة مضطربة قوّمها، أو بيت شعر لمجهول نسبه لقائله، أو بقرية أو مدينة كتب تعريفاً لها، أو بمعلومة ناقصة أو متناقضة أحالنا إلى المكان الذي يصوبها أو يكملها.

أما آثاره المطبوعة فهي كثيرة، نذكر منها:

١- أصول الشيعة وفروع الشريعة.

٢- حاشية على مكاسب المحقق الأنصاري.

٣- هداية الفحول في شرح كفاية الأصول.

٤- دعوة الحق إلى أئمة الخلق[13].

٥- رسالة في الشعائر الحسينية.

٦- القول السديد بشأن الحر الشهيد[14].

٧- رسالة لسان الصدق [15].

إلى غير ذلك من الرسائل والتعليقات التي كتبها بخطه.

شعره

كان السيد الخراساني يحفظ أشعار العرب ويستعين بما فيها من معنى لطيف ولفظ خفيف حسن، وكان ميالاً إلى الشعر، وله قصائد ومقطوعات شعرية يجدها القارئ في كتاب (دعوة السلام) المخطوط، ومنها هذه المقطوعة التي كتبها وهو يخرج من كربلاء قاصداً النجف الأشرف حيث مرقد الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام يشكو فيها من جور الزمان، فيقول:

إني ابتليت بيومي
كما ابتلى بي زماني
فإنني أشتكيه
كما زماني شكاني
يقول إني جفوت
كما أقول جفاني
رميته لم يصبه
أصابني إذ رماني
فيا له من قرين
قليته وقلاني
يا بئس من جار سوءٍ
أهانني ودهاني
أعاذني الله منه
ومن عداه وقاني
لم يرضَ بي قط يوماً
كذاك ما أرضاني[16]

وفـــاته

اســتيقظت مدينة كربلاء صباح يوم ١٢ ربيع الأول ســنة ١٣٦٨هـــ / ١٩٤٧م على هــزّة نعيه العنيفــة، فانتقل إلى رحاب اللّه ورضوانه، ونعته العلمــاء والأعيان وجميع الطبقــات، ودفن فــي إيــوان الوزير في الصحن الحســيني الشــريف، وأرخ وفاته الشــاعر الشــيخ عبد الحســين الحويزي فقال:

عن هـذه الدنيـــا قضـى سيّـد
ســاد الـــورى بـالجَـدّ والجِـد
نواحـــة أيامهـــا أصـبـحـت
مذ غـــاب نجم اليمن والسـعد
والعلـــم أضحى جيـــده عاطلاً
وانبث ســـمط جوهـــر العقد
قـد كـــان نـوراً ومنـــاراً بـــه
للخلـــق يزهو منهج الرشـــد[١٧]
أروع في تـاريخـــــه (مـاجـد
هـادي البرايـــا قر في الخلد)

---

(١) أعيان الشــيعة - للســيد محســن الأميــن ج ١٠ ص٢٢٢.
(٢) سيرة آية اللّه الخراساني - لجنة التأبين ص١٣.
(٣) سيرة آية اللّه الخراساني ص١٣.
(٤) سيرة آية اللّه الخراساني ص ١٨.
(٥) سيرة آية اللّه الخراساني ص ١٤.
(٦) شخصيات أدركتها - السيد صالح الشهرستاني ص ٧٠.
(٧) سيرة آية اللّه الخراساني ص ٦٤.
(٨) كربلاء في ثورة العشــرين - ســلمان هادي آل طعمه ص٤٧.
(٩) كربلاء في التاريخ - السيد عبد الرزاق الوهاب آل طعمه - الجزء الثالث ص٤٦.
(١٠) أحســن الأثر فيمن أدركناه فــي القرن الرابع عشر - محمد صالح الكاظمي ص ٣٧.
(١١) أحســن الوديعة في تراجم مشــاهير مجتهدي الشــيعة - الســيد محمــد مهــدي الموســوي الكاظمي.
(١٢) خزائن كتب كربلاء الحاضرة - ســلمان هادي آل طعمه ص ١١.
(١٣) الذريعــة إلــى تصانيف الشــيعة - الشــيخ أغا بزرك الطهراني ج ٨ ص ٤٠٨.
(١٤) سيرة آية اللّه الخراساني ص ١٠١.
(١٥) شخصيات أدركتها ص ٧١.
(١٦) شخصيات أدركتها ص ٧٢.
(١٧) ديوان الحويزي - تحقيق الأستاذ حميد مجيد هدو ج١ ص ٢١٨.

الخطيب والشاعر..

السيد محمد رضا الخطيب

رئيس جمعية الرابطة الأدبية في الهندية

(١٣١١ - ١٣٦٥هـ)

أحمد الكعبي الطويرجاوي •
مدير تحرير مجلة السفير

تميزت مدينة الهندية كباقي مدن العــراق بإنجاب الأفذاذ وأصحاب المواهب الذين يصنعون المعجزات في حياتهم ومواقفهم النبيلة وتكتب أسماؤهم بالإعجاب والمحبة، ومن هؤلاء الأفذاذ الذين ما زال لهم الأثر الطيب في المجتمع والتاريخ. إنه صاحب العلم والفضيلة العلامة المفضال والأديب المصقع والشــاعر اللبيب الراحل السيد محمد رضا الخطيب الموسوي قدس سره.

ينابيع

هو السيد محمد رضا بن السيد حسن بن السيد هاشــم بن السيد عزوز بن السـيد ناصـر الموسـوي المعروف بـ(الخطيب).

ولـد في قضـاء الهنديـة (طويريج) عام ١٨٩١م الموافـق ١٣١١هـ نشـأ وترعرع في أسرة علمية وأدبية ومهتمة في مجال الخطابة والشـعر والثقافـة الإسـلامية، تلقى علومه الابتدائية على يد (المـلا) في أحد الكتاتيب آنذاك، ثم درس النحو على يد والده (السيد حسن الخطيب)، بعد ذلك مارس فن الخطابة في سـن مبكـر متأثـراً بخطبـاء عصره من خلال دار والده التـي كانت بالقرب من دار آل القزويني الأمر الذي سهل عليه الحضور لمجالس الأدب والشـعر والعلـم والندوات التي تقام في المناسـبات الدينية والإسلامية والاجتماعية التي تعقد في ديوان السـادة آل القزويني، فضلاً عن شـخصيته اللبقة وبيانه

الساحر وذكائه المتوقد ومتابعة الجمهور له ولمجالسه وتقربهم منه، له اسم شاع في أنحاء العراق، وما زال الكثيرون من أهالي الهندية يتذكرونه ويتصورون مجالسه العامرة الحاشدة[1].

عرف بروعة حديثه وفن خطابته وقد وهبه الله تعالى حساً مرهفاً وصوتاً رخيماً وخيالاً واسعاً.

دعي إلى النجف الأشرف وكربلاء المقدسة وبغداد والكوت والبصرة وجنوب إيران والسعودية ولبنان وغيرها فكان له القدح المعلى في مجال الخطابة والأدب والشعر والبيان.

قرض الشعر على اختلاف أوزانه وأنواعه وفنونه، نال الإعجاب والتقدير.

فقد كان وصفه لأي قضية اجتماعية كانت أو سياسية أو دينية يجعلك وكأنك تراها من دون أن يزعج السامع، لا يخشى ﷺ لومة أحد في الحق، كان جريئاً، ولصفاته المتميزة هذه فقد ترأس جمعية الرابطة الأدبية في الهندية، وبهذا فقد حصل على الجائزة الثانية بالسباق الذي أجرته جمعية الرابطة في النجف الأشرف، ومن خلال ملاحظتنا لأشعاره وبخاصة التي بعث بها للملوك والأمراء نفهم أنه عاش فقيراً عسير المال، كان يتوخى المساعدة واللطف فقد راسل إمام اليمن[2] السيد يحيى بن حميد الدين، أعاد له الإمام يحيى رسالة وقصيدة مؤرخة ٨ ذي القعدة/١٣٥٠هـ منها هذه الأبيات:

ابتـدت جنـح الظـلام ذكاءُ
أم سـرت بعـد هجعةٍ أسـماء
بينما نحـن في سـوانح فكر
سـحراً إذ أضـاءت الأرجـاء
قلدت جيدها الكواكب فازدانت
بهـا الأرض زينـة والسـماء
لا، هـي الـدرة التـي ثقبتها
كفُ مـن أذعنت لـه الخطباء
هيجت شـجوناً وزادت سـعيراً
فـي ربانـا اليتيمـة العصماء
نفثـة هاشـمية صـدرت من
حلة المجد حيث حـل الوفاء
حبـذا بلـدة وخيـرة بـلاد
كان فيهـا للمرتضـى وزراء

وقـد كان لـه علاقة طيبة مـع عدد ليس بالقليل بشـعراء العـراق ومنهـم الرصافي والزهاوي الذي يقول في حق السيد الخطيب:

أحمـد قـد زاد قـدرك رفعةً
رجحان كفة شـعرك الموزوني

وقال أيضاً:

تحنو لك الألفاظ وهي عصيبة
فتكون شـعراً عند قولك كوني

يعد السـيد محمـد رضـا الخطيب من خطباء ثورة العشـرين ضـد الإنكليز والحق يقال كان اللسان المعبر عن إرادة المظلومين والمعدومين أمام العالـم من خلال خطاباته ومجالسـه وقصائـده التـي تحـث ضـد المستعمرين للعراق[٣].

زامل فـي ميدان الخطابـة أعمدة المنبر والإرشـاد منهم العلامة الشـيخ محمد علي اليعقوبي والشيخ محمد علي القسام والشيخ كاظم نوح الكعبي والشـيخ محسن أبو الحب الكربلائي والشـيخ علي البازي وغيرهم وله مراسلات وذكريات معهم.

وافـاه الأجل بعد عمرٍ قضـاه في الجهاد والإصـلاح والبلاغة والخطابـة والأدب يوم السادس من ربيع الأول عام ١٣٦٥هـ الموافق لعام ١٩٤٤م. نقـل جثمانه من العاصمة بغداد إلى قضاء الهندية حيث اسـتقبلته الجماهير وجـرى له تشـييع مهيب ودفن فـي النجف الأشـرف، أعقب بنتًـا واحـدة، أقيمت له مراسـيم الفاتحة فـي أماكن عـدة، ابّنه في أربعينيتـه مجموعـة من الخطباء والشـعراء في مركز الهندية منهم الشـاعر عبد الحسين الملا أحمد وخالد عبـد القادر وعبد المنعم العجيـل وجمال مهدي الهنـداوي والخطيب الكبير والشـاعر القدير الشـيخ محسن أبو الحب الكعبي الكربلائي[٤] قائلاً:

قضى الرضا فبكاه الفضل والأدب
وأعولت بعده الأشـعار والخطبُ
مضى فأخلى ربوعاً كان يسـكنها
فهـا هي اليـوم تبكيـه وتنتحبُ
تنعى خطيباً لقـد طابت أرومته
كريم أصل له من هاشـم نسـبُ
هذي البلاد لهم بالفضل شاهدة
فخيـر قـوم هـمُ وسـادةٌ نجبُ
فن الخطابة فيـه كانت منتهجاً
وليـس إلا لـه يعزى وينتسـب

إلى أن قال:

كيـف المنيةُ منا سـيداً خطفت
وكيف في الترب بدر التم يحتجبُ
إنـي لأرجو من الرحمن يسـكنه
في الخلد قصراً فناه واسع رحبُ

---

(١) تاريخ الهندية ورجالاتها منذ تمصيرها وحتى الآن ص٢٢٩.
(٢) نفس المصدر.
(٣) سـجل مخطوط فيـه قضاياه وأشـعاره ، بحوزة الأستاذ علاء الكتبي من أهالي الهندية.
(٤) ديوان الشيخ محسن أبو الحب.

هل صمت في هذا الشهر؟!

روى ابن بابويه بسند معتبر عن سالم قال: دخلت على الصادق عليه السلام في رجب وقد بقيت منه أيام، فلما نظر إليّ قال لي:

«يا سالم، هل صمت في هذا الشهر شَيْئاً؟ قلت: لا والله يا بن رسول الله، فقال لي: فقد فاتك من الثواب ما لم يعلم مبلغه إلاّ الله عز وجل. إن هذا شهر قد فضّله الله وعظّم حرمته وأوجب للصائمين فيه كرامته.

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله، فإن صمتُ مما بقي منه شَيْئاً هل أنا أفوز ببعض ثواب الصائمين فيه؟

فقال عليه السلام: يا سالم، مَنْ صام يوماً من آخر هذا الشهر كان ذلك أماناً من شدة سكرات الموت، وأماناً له من هول المطلع وعذاب القبر، ومن صام يومين من آخر الشهر كان له بذلك جوازاً على الصّراط، ومن صام ثلاثة أيام من آخر هذا الشهر أمن من يوم الفزع الأكبر من أهواله وشدائده، وأعطي براءة من النار.

واعلم أنه قد ورد لصوم شهر رجب فضل كثير، ورُوي أنّ من لم يقدر على ذلك يسبّح الله في كل يوم مائة مرة بهذا التسبيح لينال أجر الصيام فيه:

سُبْحانَ الإله الجَلِيلِ سُبْحانَ مَنْ لا يَنْبَغِي التَّسْبِيحَ إِلاّ لَهُ سُبْحانَ الأَعَزِّ الاَكْرَمِ سُبْحانَ مَنْ لَبِسَ العِزَّ وَهُوَ لَهُ أَهْلٌ».

الأمالي للصدوق ص:٦٦

معالم التربية الروحية

في فكر الإمام الرضا عليه السلام

د. محمد كاظم الفتلاوي •
كلية الدراسات الإنسانية الجامعة

ينابيع

يتضح من خلال آيات الكتاب العزيز وأحاديث أهل البيت عليهم السلام أن الركيزة الأساسية التي تبتنى عليها المنظومة العقائدية في الإسلام هي الإيمان بالله تعالى ، وكان لأئمة أهل البيت عليهم السلام مدرستهم الخاصة المتصلة بالسماء والتي تهدف إلى تربية الإنسان والمجتمع وتوجيهه نحو الكمال والرقي.

وسنكرس هذا المبحث حول معالم التربية الروحية في فكر الإمام الرضا عليه السلام ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام، والتي هي انعكاس للإيمان، ولكن من جهة العبد نحو الخالق العظيم وبيان أثرها الوقائي في البُعد الروحي للإنسان، مع محاولة مقاربتها قرآنياً، وعلى النحو التالي:

أولاً: التوبة: معلوم أن التوبة هي أن يطلب الإنسان مغفرة الذنوب من الله تعالى، فالإنسان بطبيعته يخطئ ويقع في بعض الأخطاء، لأنه إنسان، وليس هذا عيباً بل العيب أن يُصرّ على الذنب. لكن الإنسان المتقي إذا ما أذنب لجأ إلى الله وأناب واستغفر، ومن ثم يرتقي هذا الإنسان في روحه ببناء تربوي غير منقطع، وهذا واضح جلي في فكر الإمام الرضا عليه السلام التربوي، إذ يقول عليه السلام: (.. وأحب العباد إلى الله عزّ وجلّ الموقنون التوابون)[1].

إذ التوبة أول مقامات الدين ورأس مال السالكين ومفتاح استقامة السائلين ومطلع التقرب إلى رب العالمين ومدحها عظيم وفضلها جسيم، وحُب الله عزّ وجلّ

للتوابين واضح في قوله تعالى: (**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**)[٢]، فعودة هؤلاء التوابين المتطهرون إلى الحضرة القدسية تدلل بوضوح على عمق إيمانهم لما يختزنون في أعماقهم الإيمان بالله والمحبة له والالتزام بطاعته، من دون أية حالة للتمردّ التي تتنافى مع الإحساس بالعبودية، وهم الذين لم تنطلق معصيتهم في خطيئاتهم من جحود بالله، ولا استهانة بعقوبته، ولا تهاون بوعيده، ولا استخفاف بأمره ونهيه... بل انطلقت من غفلة العمل وثورة الغريزة.

وبعد أن اتضح حب الله سبحانه للتوابين، يتضح أيضاً أن لهذه التوبة شروطًا نصت عليها آيات الذكر الحكيم نلتمسها في قوله تعالى: (**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**)[٣]، فعند رؤية بعض معالم الموت وتكشف للمذنب عاقبة أمره في الآخرة، فهنا لا يتحقق قبول التوبة، وقد أشار الإمام الرضا عليه السلام إلى هذا المعنى عندما سُئل عن علة إغراق فرعون وقد آمن به واقر بتوحيده؟ فقال عليه السلام: (إنه آمن عند رؤية البأس وهو غير مقبول)[٤].

إذ إن هذا الإيمان ليس إيمانًا حقيقيًا

معتمـدًا علـى الغيـب الإلهـي، بـل على المشـاهدة المحسوسـة، وهذه المشاهدة الأخروية للمذنبين وحال مصيرهم، وهذا أشـبه ما يكون فيه حـال المذنبيـن اليوم (الذين شـاهدوا أعواد المشـنقة وأحسوا بالحبـل على رقابهم ندمـوا على جرائمهم وأفعالهـم القبيحة، فمـن الواضح أن مثل هـذه التوبة وهـذا الندم لا يعـد فضيلة، ولا مفخـرة ولا تكاملاً، ولهذا لا يكون أي تأثير)[٥] له في البناء الروحي للإنسـان أو وقايته من الانحراف.

من خلال ما تقدم نلحظ البناء التربوي للـروح وتهذيبها بمعايير الإيمان والتقوى، يجعل الإنسـان المؤمن يتأمل جلياً في هذا المعانـي وهذه المعالم المفيدة التي توجهه إلى الرجـوع إلى اللّه تعالى بالاسـتغفار، والمسارعة إلى مغفرة اللّه وجنته الموعودة للإنسان المؤمن.

٢- العبادة: تُعد التربية العبادية الدعامة الأساسية في توثيق الصلة باللّه عز وجل، فآثار العبادات على الإنسان مما لا يخفى، إذ (لكل عبادة من العبادات وكل منسك من المناسك الشرعية، فضلاً عن أنَّ لها صورة أخرويـة وملكوتية، بها تقـام عمارة الجنة الجسـمانية وقصورهـا، وتهيئـة الغلمان والحور طبقاً للبراهيـن والأحاديث[٦] فإن لكلّ عبادة من العبـادات أيضاً أثراً يحصل في النفس، مما يقوي الإرادة شـيئاً فشيئاً ويصل بقدرتها إلى حد الكمال)[٧].

والعبـادة إذعـان العبـد، والخضـوع والتذلـل لخالقـه عزَّ وجـلّ بغايـة المحبة والتعظيـم (والخضـوع له والتقـرب إليه سبحانه والخلوص لوجه الكريم)[٨].

فنلحظ أن من ألـزم مقتضيات العبادة أن تكـون خالصـة لوجـه اللّه تعالى، وقد صرح القـرآن المجيد بعظمـة العبادة بأن اللّه عزَّ وجلّ جعلهـا الغاية من خلق الخلق فكانـت الغايـة الكبرى والمهمة الجسـيمة التـي أمر الإنسـان بتنفيذها علـى الوجه التي أرادها المشرع الحكيم، ورغب إليها سبحانه وحث على إتيانها.

قال تعالى: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيـدُ أَن يُطْعِمُونِ**)[٩]، واللّه سـبحانه في غايـة الخلق أراد الإكـرام لعباده من خلال إثابتهـم و(تعريضهـم للثـواب، لا يحصل إلا بـأداء العبـادات، فصار كأنه سـبحانه خلقهـم للعبـادة، ثم إنه إذا لـم يعبده قوم لم يبطل الغرض، ويكـون كمن هيأ طعاماً لقوم ودعاهم ليأكلوا، فحضروا ولم يأكله بعضهم، فإنه لا ينسـب إلى سـفه ويصح غرضه، فـإن الأكل موقوف علـى اختيار الغير، وكذلك المسـألة فـإن اللّه إذا أزاح علـل المكلفيـن مـن القـدرة، والآلة، إلا ليقروا بالعبودية طوعاً وكرهاً)[١٠].

فيبدو جلياً الحـث القرآني على أهمية الإتيـان بالعبادة والالتـزام بها، ومن ذلك نلحـظ قول الإمام الرضـا عليه السلام وهو يربط نعمة الـرزق بإتيان العبـادة المفروضة مع اللّه سـبحانه، وذلـك عند تفسـيره لقوله تعالى: (**فَالْمُقَسِّـمَاتِ أَمْرًا**)[١١]: إذ قال عليه السلام في تفسـيرها: (الملائكة تقسم أرزاق بني آدم ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فمن ينام فيها ينام عن رزقه)[١٢].

فالإمـام عليه السلام يوضـح أن اللّه سـبحانه غنـي عن العباد، وأنه لـم يأمرهم بالعبادة لاحتياجـه إليها، بل إن منفعة العبادة عائدة إلى الإنسان، وذلك بما تضفيه عليه من آثار دنيوية، ومصداق ذلك نلمسه في الحرمان الذي يصيب الإنسـان الممتنع عن الإتيان

بالعبادات، ولعل دقة تعبير الإمام عليه السلام عن الأمر المحروم منه بالرزق، يوحي بعموم هذه الكلمة، وسعتها الشاملة للدارين بكل ما يفهم من نعيم، وهكذا يخاطب الإمام عليه السلام النفس الإنسانية ويحثها على إتيان العبادات لتحقيق الصلة مع خالقها وتهذيب غرائزها وتقييد جماحها، ومن ثم تسمو عن رذائل الأخلاق، وتتحلى بشمائل الصفات، وتتجسد فيها تلكم الآثار المتنوعة التي تفضيها سائر العبادات الأخرى وتتكامل في صناعة الإنسان بعد أن يحدث التفاعل الحقيقي من حيث النسبة والقول والعمل.

فالواجب على كل إنسان مسلم إذا ما رام تربية نفسه أن يعلم أنه ما خُلق إلا للعبادة، وأن وقته يجب أن يكون في عبادة، سواء ما كان في الشعائر التعبدية أو ما كان منه في المعاملات أو في سائر سلوكياته وأفعاله و(السبيل الصحيح الوحيد هو أن تتحول كل الفعاليات الحياتية المختلفة في ظل القصد والنية إلى عبادة، وتمنح وجهة تكاملية، لكي لا تذهب أي طاقة من طاقات الإنسان هدراً)[١٣] وتكون قرب إلى الله تعالى.

ولكي تؤتي هذه العبادة أثرها التربوي وتجني ثمارها الظاهرية فبالإخلاص في النية لله سبحانه وتعالى، إذ الإخلاص هو(أساس الدين ودعامته التي يرتكز عليها في عملية تثبيت الإنسان في خط الإيمان والانفتاح على الله تعالى)[١٤].

وفي بيان أهمية تربية الإنسان الروحية وعظم ارتباط العمل بالنية، وأن العمل هو ترجمان النية يقول الإمام الرضا عليه السلام: (لا عمل إلا بالنية)[١٥]، فلا يمكن أن تقبل الأعمال ويثاب عليها الإنسان إلاّ إذا كان قاصداً بهذا العمل القربة إلى الله تعالى، بل إن النية تكون أفضل من ذات العمل العبادي، وهذا ما نلحظه في قول النبي صلى الله عليه وآله: (نية العبد خير من عمله)[١٦].

فالعبادة تحتاج – كما تقدم – إلى خلوص في النية ولا يمكن أن يكون هناك عمل إلا ومعه نية تقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وإذا ما تكاسل الإنسان عن بناء روحه وتجاهل النية وإخلاصها وقع في المحذور، وتحول أجر عمله من الثواب إلى العقاب مع كون العمل هو ذات ظاهر العمل، إلا أن النية أصابها الانحراف من أن تكون متوجهة إلى الله سبحانه والقرب منه إلى غيره ممن لا يضر ولا ينفع، وهذا ما قرره الإمام عليه السلام ونقرأه في فكره الشريف، إذ يقول محذراً من الرياء والسمعة: (اعملوا لغير رياء ولا سمعة فإنه من عمل لغير الله وكّله الله إلى ما عمل، ويحك ما عمل أحد عملاً إلا أراد الله به إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً)[١٧].

ومن ذلك ما نلحظه في قوله تعالى:(**يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً**)[١٨]، فهذا ذم من الله سبحانه إلى الذين اختلط عملهم من جرّاء فساد نيتهم، وهذا الفساد ينم على أن إيمان هؤلاء إنما هو إيمان شكلي ظاهري غير نابع من ذات نفوسهم لما شاب النية من انحراف عن نية الإخلاص والقرب من الله سبحانه. يقول الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) في تفسيرها: (يعني أن المنافقين لا يعملون شيئا من أعمال العبادات التي أوجبها على المؤمنين على وجه القربة إلى الله ، لأنهم غير موقنين بها ، ولا أن لهم عليها ثوابًا أو عقابًا)[١٩].

ونلحظ التأكيد على ضرورة إخلاص النية في القرآن المجيد في قوله تعالى:

(**فَادْعُوا اللهَ مُخْلصينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**)[٢٠]، فهذا الإخلاص بالنية شرط لتحقق الدعوة إلى الله سبحانه – والدعوة إلى الله لا تقف على حد القول، فالأعمال أيضاً دعوة إلى الله سبحانه – وأن الإخلاص عامل أساس في قبول الأقوال والأعمال، كما أن عوامل الانحراف عن النية وخلوصها كثيرة كان التأكيد من (ربنا على ضرورة الإخلاص له في الاعتقاد بعيداً عن كل عوامل الشرك، ولأن الضغوط التي يواجهها المؤمن، الاجتماعية منها والسياسية والاقتصادية من قبل الآخرين من أهم تلك العوامل وأبلغها أثراً خصصها بالذكر)[٢١] للمحافظة على صلاح أعماله والانتفاع من ثمارها على صعيد حياته اليومية، فيعمل على مجاهدة نفسه وتلكم الضغوطات ويسمو بها.

إذن للعبادة ثمار تربوية على الإنسان، وإن هذه العبادة لا يتحقق الرجاء منها! إلّا إذا كانت خالصة النية لله تعالى، والنية تجعل من الأعمال المباحة أعمالاً عبادية يثاب عليها الإنسان إذا قصد من وراء هذا العمل القرب من الله تعالى وعبادته سبحانه، وقد أكّد هذا المعنى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، وحث على وجوب هذا الترابط بين العمل والنية، وأن الأعمال وإن كانت موفية لشروطها في الظاهر تكون فاسدة عديمة الجدوى إذا كانت منحرفة النية، ومن ثم يعاقب الإنسان على أعماله المنصوص عليها،

بما شـاب هذا العمل من رياء أو نفاق وما شـاكل ذلك، فـكان عليه السلام (ينطلـق في حلمه وعفوه وعطفه على المسـاكين والمعذبين من أصالة الخير التي انطوت عليها نفسـه كان ينطلق منها ومن إحساسـه بأن العطاء ليس معروفاً فقط يسـديه الإنسان لسائله وللمعوزين بل هو بالإضافة إلى ذلك شكر للمعـروف الذي حبـاه الله بـه)[٢٢]، وبهذا المعنى المفهـوم من فكر الإمام عليه السلام تُهذب النفس الإنسـانية، وتعنـى بالنية التي هي أساس العمل، فأي عمل لا يبنى على أساس متين يكون هشًا ووبالًا على صاحبه ويحرم من الرزق بمفهومه الواسع الذي أشار إليه الإمام عليه السلام.

وبكلمة.. التربية تمثل الركن الأسـاس لعمليـة الإصلاح ووسـيلة مهمـة لتحقيق أهداف المجتمع وفق فلسفته التي يتبناها، وإن القرآن الكريم وسنة المعصوم الركيزة الأسـاس لهـذه الأهـداف. وإن التربيـة الروحية واقعيـة في أهدافها التربوية لدى الإمام عليه السلام، ومنسـجمة مع طاقات الإنسان وسهلة التحقق في الميدان العملي ■

(١) الكافي ، الكليني ، ٤٩٦/١.
(٢) سورة البقرة ، ٢٢٢.
(٣) سورة النساء ،١٧-١٨.
(٤) عزيز الله عطاردي، مسـند الإمام الرضا عليه السلام، ٣٤١/١.
(٥) ناصـر مكارم الشـيرازي، الأمثل في تفسـير كتاب الله المنزل ، ١٠٨/٣.
(٦) قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما اسـري بي إلى سـماء إلى السـماء دخلت الجنة فرأيـت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة وربما امسـكوا فقلت لهم مالكم ربما بنيتم وربما أمسـكتم فقالوا تجيئنا النفقة فقلـت لهم وما نفقتهم؟ فقالـوا: قول المؤمن فـي الدنيا سـبحان الله، والحمـد لله، ولا اله إلا الله، والله أكبر. فإذا قال بنينا وإذا امسـك امسكنا)، المجلسي، بحار الأنوار، ١٦٩/٩٠.
(٧) روح الله الخميني ، الأربعون حديثاً ، ص ١٦٢
(٨) أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٥٠١ ، ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣١٥/١٨.
(٩) سورة الذاريات ، ٥٦-٥٨.
(١٠) الطبرسـي ، مجمع البيان في تفسير القرآن، ١٩٣/٩.
(١١) سورة الذاريات ،٤.
(١٢) الصدوق، من لايحضره الفقيه، ٥٠٤/١.
(١٣) محمـد تقـي مصباح اليـزدي ، العـودة إلى الذات، ص ٨٩.
(١٤) ناصر مكارم الشيرازي، الأخلاق في القرآن، ٢٣٢/١.
(١٥) المجلسي ، بحار الأنوار ، ٣٧/٨١.
(١٦) المجلسي ، بحار الأنوار ، ٢١٠/٦٧.
(١٧) المجلسي ، بحار الأنوار ، ٤٣/١٥.
(١٨) سورة النساء ، ١٤٢.
(١٩) التبيان ، ٣٤٨/٣.
(٢٠) سورة غافر ، ١٤.
(٢١) محمـد تقي المدرسـي ، من هـدى القرآن ، ٢١٥/٨.
(٢٢) هاشـم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر، ٣٥٢/٢.

قدوتك..
ابنة الإسلام

حسين علي الكعبي •

ينابيع

اتخاذ القدوة الحسنة دليل على حُسن الاختيار، وسلامة السريرة، وسُلَّم للارتقاء نحو النجاح. فحري بمن أدركت معنى الحياة أن تقتدي بالطهر والعفة والفضيلة، وأن تربأ بنفسها عن أن تكون إعلاناً عن حذاء أو مثاراً للسخرية ومحطة منحطة للأنظار في وسائل الإعلام المتعددة، وليت كل النساء يُدركن تمام الإدراك ما يُدس لهُن من سموم فتاكة في طيات أطباق مُحلاة، لأن زيف المعزوفات التي تزعم أنها تطالب بحقوق المرأة باتَ جلياً وواضحاً، والأصوات النشاز التي تحاول تفكيك المجتمعات المُبجلة غير خاف من يقف وراءها وماذا يُراد من المرأة أن تكون، يُرادُ من المرأة أن تكون دُمية تتقاذفها الأمواج، ووعاء تُخلّى فيه الشهوات.

وبداية هذا المخطط تمت بمحاولة وضع نماذج ـ ممن استحوذَ عليهن الشيطان ـ كبديل عن النماذج التي تصلح أن تكون قدوة في كل زمان ومكان، وروجوا لهن بشتى الوسائل وذلك بعرض صورهن على الشاشات الكبيرة والصغيرة ووسائل الإعلام الأخرى.

وعليك يا ابنة الإسلام أن تعلمي أنهم جاؤوا بالأدنى فهل ستبدلين (**أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**؟)(البقرة:٦١)، جاؤوا بمصممة الأزياء الشاذة، والممثلة المنحرفة، والراقصة الفاجرة، والفنانة العاهرة، وأمثالهن من (المتردية) و(النطيحة) لتكون قدوة وأُسوة لك! وزجّوا في السوق وبأبخس الأثمان ـ لك ـ ألبستهُنَ المُخرَّقة وكوافيرهن وكوافرهن[1] وزينوا ظواهر كل ما هو مُهين لكرامتك وعزّتك، فأطلقوا على السفور تحرراً، وعلى التبذل حريّة، وعلى الثرثرة فناً، وعلى التسيُّب والتسكُّع والانفلات تطوراً.. وغير ذلك من المفردات الهشة التي لا تمت إلى العقل

السليم بصلة فضلاً عن عدم إقرار الدين بها.

ومن المؤسف والمؤلم حقاً أن نرى بعض من تُدين إلى الإسلام منساقةً خلف هذا السراب، آخذةً بهذه الدعاوى المنكرة أخذَ المُسَلّمات، جاهلةً أنها بذلك قد جنت على نفسها أولاً وقبل كل شيء، قد غرَّتها مباهج عروض الكفر المُغرية للنفوس الضعيفة، متناسيةً الضياع الذي تعيشه الغالبية العظمى من نساء الغرب حسب ما تؤكدهُ التقارير الواردة من تلك المجتمعات، ولا حاجة للإطالة في الحديث عن ذلك، فالمتتبع لهكذا أمور يجد ذلك واضحاً وجلياً حتى في الصحف والمجلات.

وبعد أن تفشى الانحلال الأخلاقي والانهيار الأسريّ رأى بعض علماء الغرب من المناسب الاعتراف بأن أفضل مقوم للحياة الاجتماعية هو ما أقره الدين الإسلامي الحنيف، فإنه أغنى هذه الحياة وأثراها بكل ما تحتاج إليه من بنود، وصدق الله العظيم إذ يقول: (**رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ**) (الحجر/ ٢) فقد جاء على سبيل المثال عن الكاتبة الشهيرة (اني وورد) الإنجليزية أنها قالت: (إذا اشتغلت بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد، يا ليت بلادنا كبلاد المسلمين حيث فيها الحشمة والعفاف والطهارة.. إنه عار على بلادنا أن نجعل بناتنا مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل ما يوافق فطرتها الطبيعية كما قضت بذلك الديانة السماوية من ملازمة البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها)[٢].

وعوداً على بدء أقول لكِ إن في تاريخنا كثيرًا من النساء حواضن خالدة في تربية الأجيال، ولبعضهن مواقف مُشرّفة تصلح نبراساً وأنموذجاً لفتياتنا وأمهاتنا وأخواتنا في وقت أصبحت فيه العاهرة هي القدوة، هي الأسوة، إلا عند من رحمهن الله سبحانه، نعم لقد آن للنساء أن يقتدين بالطهر والعفة والفضيلة، كالسيدة خديجة وفاطمة وزينب..

فاطمة عليها السلام بنت سيد رسل الله صلى الله عليه وآله، زوج علي عليه السلام، تجر بالرحى حتى تؤثر الرحى في يدها، وتقوّم البيت وتوقد النار وتُربي أبناءَها فيكونوا الحسن والحسين عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة، والحوراء زينب عليها السلام.

فلو كان النساء كما ذكرنا

لفُضلت النساءُ على الرجال

ومسك الختام هو قوله تعالى: (**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**) (آل عمران/٨٥) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ■

---

(١) أوعية الخمر.

(٢) الإسلام والمرأة/ جعفر النقدي/ ص٣٣.

مدرسة الكوفة . .

مهد الحضارة وينبوع الحكمة

محمد دعيبل •
كاتب وباحث

حفل تاريخ الكوفة، لاسيما في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، بأروع البطولات والتضحيات، والإنجازات في اللغة والأدب، والفقه والحديث والتشريع، وبمستويات من الحضارة والحياة الجديدة، جعلها سباقة في الفنون والعمارة، كما أصبحت أرضًا خصبة للفتن والصراعات التي أسفرت عن سقوط الحكم العباسي في العراق، وما بين ذلك ضياع حق أهل البيت عليهم السلام الشرعي في قيادة الأمّة وولاية أمور المسلمين وتصحيح الانحرافات.

ينابيع

وبتأسيس مدينة بغداد سنة ١٤٥هـ، أخذت الكوفة تفقد كثيراً من رصيدها العلمي قرناً بعد قرن، وتحولت إلى قرية صغيرة تسكنها الأشباح والذكريات، وتطوقها الخرائب والآكام، وتعصف بها رياح الزمن العاتية، إلا مسجدها الكبير الذي ظلّ صامداً يقارع العاديات ليبعثها من جديد، وقد ظلّ شاهداً على عنفوانها وعظمتها، وصار لها رصيداً روحياً، ورمزاً للتضحية والاستشهاد، واصطبغ أديمها بدماء الشهداء، ففي مسجدها اغتيل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قد أنجبت مدارس الكوفة عدداً كبيراً من عباقرة العلم والشعر واللغة والأدب.. أمثال: أبي الأسود الدؤلي، والكميت بن زيد الأسدي، وجابر بن حيان، والأصمعي، والكسائي، والكندي، وأبي

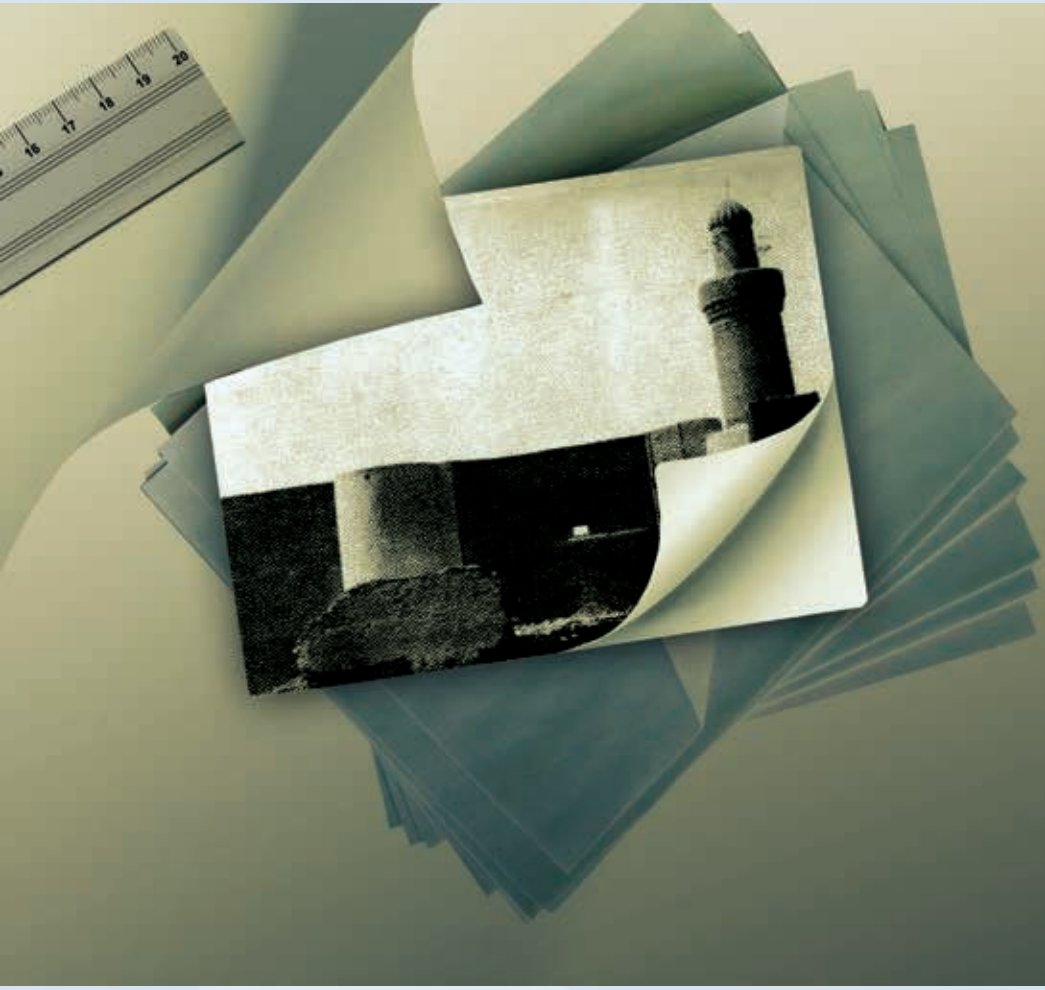

الطيب المتنبي، وكثيرين غيرهم.

مدارس الكوفة

١- مدرسة النص ترجمان القرآن :

التحق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى بعد إكمال رسالته الخالدة بشهادة القرآن الكريم: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**)[1]، وتبرز إثر ذلك مدرستان (مدرسة النص) و(مدرسة الرأي). ونعني بمدرسة النص أو مدرسة أهل البيت عليهم السلام المتمثلة بشخص رئيسها أمير المؤمنين عليه السلام ومن بعده الذرية الطاهرة من ولده عليهم السلام. والطابع اللائح على هذه المدرسة اعتمادها في مصادر التشريع على الكتاب والسنة لا غير. وحركة الاجتهاد لديها تتحرك داخل حدود المصدرين المذكورين. إذ تنطلق هذه المدرسة في اقتصارها على هذا الأمر وفق فكرة شمول القرآن الكريم وسنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بكل ما يحتاج إليه المسلمون من أحكام. فالرسول صلى الله عليه وآله أودع السنة الشريفة لدى أمير المؤمنين والذرية الطاهرة عليهم السلام من ولده ما يغني المسلمين عن الحاجة إلى الاعتماد على غير النص. ودليل كلامنا قوله تعالى: (**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**)[2] إشارة إلى شمول القرآن الكريم لميادين الحياة كافة، وذلك بحكم موضوعه

ومميزاته التي اختص بها دون غيره من الكتب السماوية فضلًا عن كونه الرسالة السماوية التي اختتمت بها الأديان، وهي المنهج الذي يتبع حتى اختتام الحياة الدنيا وهي بذلك تواكب التطور الذي يحصل في حياتنا يوميًا وبهذا نكتفي عما يقابلها من مدرسة الرأي التي أسسها بعض (صحابة) الرسول صلى الله عليه وآله وما تحملها من أفكار، لأنها حسب رأينا تمتاز بالنقص فضلًا عن عجزها الواضح في معالجة وقائع الأمور، ومن هنا بينت قاعدة (لا اجتهاد في مورد النص) المتواترة عن أهل البيت عليهم السلام، درسًا يكشف عن مدى استيعاب الكتاب والسنة المتمثلة بأهل البيت عليهم السلام أمور الحياة كونهم القرآن الناطق وترجمان الوحي، وهذه المدرسة هي التي يعتمد على أساسها شيعة أهل البيت عليهم السلام ولحد الآن، على خلاف المذاهب الأخرى التي اختارت مدرسة الرأي، وقد اختاروا لها سابقًا جامع الكوفة مكانًا لنشر العلم بعد أن افتتح أبوابها الإمام علي عليه السلام أثناء خلافته المباركة، وجددها الإمام الصادق عليه السلام حال نزوله مدينة الكوفة.

٢- مدرسة الرأي :

نعني بالمدرسة الثانية مدرسة الخلفاء بشخص رئيسها الخليفة الثاني، والتي امتدت من بعده وبلغت أوجها على يد النعمان بن ثابت (أبي حنيفة) إمام الأحناف، إلى حد كان يخالف النص لأجل الرأي والاستحسان، فقد روى الخطيب البغدادي في تاريخه أن أبا حنيفة كان يقول: (رد أبو حنيفة على رسول الله أربع مئة حديث أو أكثر، قال : وقال أبو حنيفة : لو أدركني النبي

وأدركته لأخذ بكثير من قولي، وهل الدين إلا الرأي الحسن؟!)[٣]، وتعتمداه المدرسة في مصادر التشريع إضافة إلى الكتاب والسنة على الرأي. وحركة الاجتهاد لديها لا تقتص على داخل حدود النص بل تتعداه إلى خارجه، وتجتهد وفق الرأي والاستحسان أيضًا. وتنطلق المدرسة المذكورة في عقيدتها هذه من فكرتها الخاصة حول الكتاب والسنة الشريفين وأنهما غير وافيين بما يحتاج إليه المسلمون من أحكام.

وقد برزت جذور هذه المدرسة في عهد النبيﷺ والسنين الأولى من عصر الرسالة، فكان النبيﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوى يقول شيئًا وجذور المدرسة المذكورة تحكّم رأيها واجتهادها في مقابل النص.وعلى سبيل المثال كان النبيﷺ يأمر بكتابة سنته، والمدرسة تمنع، ففي حديث عبد الله بن عمرو بن عاص قال: (كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول اللهﷺ أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول اللهﷺ ورسول اللهﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول اللهﷺ فقال اكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج منى إلا حق)[٤] وأمرﷺ في أواخر حياته بإحضار كتاب يكتب لهم فيه ما لا يضلون بعده أبدًا، فامتنعت (المدرسة) وقال بعض رجالها في حق النبيﷺ قد غلبه الوجع. وقد حدثنا البخاري في صحيحه عن ابن عباس: (لما حضر النبيﷺ قال: وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال هلم أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده، قال عمر إن النبيﷺ غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول اللهﷺ كتابًا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند النبيﷺ قال قوموا عني)[٥]. وينقل البخاري في موضوع آخر من صحيحه أنهﷺ قال: (آتوني بكتاب أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا) فتنازعوا ـ ولا ينبغي عند نبي تنازع ـ قالوا : أهجر رسول الله)[٦] ويأمر النبيﷺ بتنفيذ جيش أسامة ويجتهد آخرون في مخالفته. يقول الشهرستاني: (الخلاف الثاني في مرضه أنه قال جهزوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه، فقال قوم يجب علينا امتثال أمره وأسامة قد برز من المدينة وقال قوم قد اشتد مرض النبيﷺ فلا تسع قلوبنا مفارقته والحالة هذه فنصبر حتى نبصر أي شيء يكون من أمره)[٧] يقول أحمد أمين: (نقل عن كثير من كبار الصحابة قضايا أفتوا فيها برأيهم كأبي بكر وعمر وزيد بن ثابت... وكان حامل لواء هذه المدرسة أو هذا المذهب فيما نرى عمر بن الخطاب)[٨] ■

---

(١) المائدة: ٣.
(٢) النحل: ٨٩.
(٣) أجوبة مسائل جار الله/شرف الدين ص٥٦.
(٤) مسند احمد بن حنبل ج٢ ص١٦٢.
(٥) صحيح البخاري ج٨ ص١٦١.
(٦) صحيح البخاري ج١ ص٤٢٩.
(٧) الملل والنحل ج١ص٢٢.
(٨) فجر الإسلام ص٢٤٠.

حياة الإمام موسى الكاظم عليه السلام في رؤى المستشرقين

أ. م. د. حسين لفتة حافظ
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع

درس كثير من الباحثين شخصية الإمام الكاظم وأرادوا أن يقفوا على أسرار هذه الشخصية ومن أجل أن يتبين لهم أي إمام هو في ملامحه الشخصية الرساليّة التي تمثل جانب القدوة في حياة المسلمين أو في تخطيطه العلمي للمسألة الحركية التغييرية التي تواجه الواقع المنحرف، من أجل أن يتحول إلى الخط المستقيم لنتعرف من خلال ذلك إلى حركة التخطيط التغييري في واقعنا المتحرك الذي يختزن في داخله الكثير من عناصر التفجر[1]، أي إن الدارسين وجدوا سمات وخصائص كثيرة منها طبيعة العلاقة بين الإمام والحاكم وكيفية التوفيق بين ما تنقله بعض كتب التاريخ من الخط الإيجابي فيها، وبين العناوين الكبرى التي تحكم قضية الرفض في الاستسلام للحكم الجائر، فيما كان الأئمة يؤكدون في وعي أتباعهم ذلك.

لقد صور المستشرق رونالدسن أن ولادة الإمام الكاظم عليه السلام تزامنت مع الكفاح المرير بين الدولتين الأموية والعباسية، وكان عمره آنذاك أربع سنوات عندما تولى السفاح أول خلفاء بني العباس[2]، ويضيف أن إمامة موسى الكاظم عليه السلام امتدت خلال السنوات العشر الباقية من خلافة المنصور وعشر سنوات من خلافة المهدي وسنة واحدة وبضعة أشهر من خلافة الهادي ونحو (١٢) سنة من حكم هارون العباسي فكانت مدة إمامته نحوًا

من (٣٣) سنة وهي تزيد على إمامة أبيه جعفر الصادق عليه السلام بثمان سنوات[٣].

ونلاحظ أن هذا المستشرق يشير إلى مسألة طول مدة إمامة الكاظم عليه السلام وأنه قد عاصر عددًا من الخلفاء، وإمامة الكاظم عليه السلام في نظر رونالدسن مركز خطير ترمقه العيون[٤]، وهذا مما يؤخذ عليه لأن الإمامة لم تكن منصبًا من المناصب التي تعطى لفلان من الناس دون غيره، والصحيح أن الأئمة عليهم السلام بشر مثلنا إلا أنهم عباد مكرمون اختصهم الله تعالى بكرامته، وحباهم بولايته إذ كانوا في أعلى درجات الكمال اللائقة في البشر: من العلم والتقوى والشجاعة والكرم والعفّة وجميع الأخلاق الفاضلة، والصفات الحميدة، لا يدانيهم أحد من البشر فيما اختصوا به[٥].

والمسألة الأخرى التي أثارها رونالدسن هي أنه ينقل تعدد الآراء في إمامة موسى الكاظم عليه السلام واختلاف الروايات فهو مرة ينقل أن الإمامة كانت في إسماعيل وأنه هو المعين للإمامة بعد أبيه وأن موته قبل موت أبيه سبب اضطرابًا كبيرًا عند الشيعة أجمعين[٦]، ومرة أخرى يصور لنا أن أكثر الآراء إضرارًا هو القول بأن إسماعيل كان آخر الأئمة وهو السابع وأنه لم يمت وإنما غاب وأنه سوف يعود وأن هذه الفرقة سميت الإسماعلية[٧]، ويضيف قائلاً:

أما الشيعة الاثني عشرية فيؤكدون أن الإمام جعفرًا الصادق عليه السلام نص على إمامة ابنه الأكبر إسماعيل بعده، غير أن إسماعيل

كان سكيرًا فنقلت الإمامة إلى موسى وهو الوليد الرابع من بين سبعة أولاد، وكان الخلاف الناجم عن ذلك سببًا في حدوث انقسام كبير بين الشيعة كما أشار إلى ذلك ابن خلدون[٨].

نلاحظ هنا أن رونالدسن يستند إلى ابن خلدون دون غيره من المصادر الكثيرة التي تناولت حياة الأئمة عليهم السلام والتي سبقت ابن خلدون واتسمت بموقف معتدل من فكر أهل البيت عليهم السلام وربما يكمن الدافع من وراء هذا النقل إلى المنهج الاستعماري والطريقة التي برمجها بعض المستشرقين لغرض تشتيت أمر الأمة والدعوة إلى تفريق الكلمة وإبراز وجهات الاختلاف، أو تعدد المذاهب، فيدعى المستشرق من قبل دوائرهم إلى تضخيم هذه النزعات أو تكثيف تلك الدعاوى، فيبث سمومه من خلال هذه الثغرات[٩].

معجزات الإمام الكاظم عليه السلام:

انتبه المستشرقون إلى قضية مهمة تتعلق بكرامات الإمام الكاظم عليه السلام. ومعجزاته الخارقة للمألوف من الأمور الطبيعية، فقد أفرد لها رونالدسن مبحثًا خاصًا في كتابه وحصر عددها بـ (ثلاث وعشرين) معجزة تعزى إلى الإمام الكاظم عليه السلام ومنها تختص بأخ له من إخوته أكبر منه يدعى عبد الله، وقد ادعى انتقال الإمامة إليه، فأمر موسى أن تجمع كومة كبيرة من الحطب في فناء الدار، ودعا أصحابه، وبينهم أخوه عبد الله فاجتمعوا، ولما استقر بهم الجلوس التفت موسى وأمر بإشعال الحطب وقام أمامهم جميعًا وتخطى النار ووقف في وسطها فلم تمسه بأذى ولم تحترق ملابسه، ثم دعا أخاه عبد الله وطلب منه، إن كان ادعاؤه حقًا، وإمامته منصوصًا عليها من الله أن يفعل مثل ما فعل هو، ويذكر الرواة أن عبد الله اصفرّ وجهه وخرج[١٠].

لاشك في أن إمامنا الكاظم عليه السلام كان شيخ الزاهدين وزين الساجدين وفخر العابدين، من يعجز البيان عن وصفه فقد ملأ الدنيا طيبًا بعرفه، وهو أحد الأئمة العظام الذين اشتد عليهم البلاء بما لم يحصل مع غيره من أئمة العصمة وكان عليه السلام قادرًا على مواجهة الصعاب وحلحلة المشاكل وإيصال معلوماته إلى قاعدته الجماهيرية، ومناقبه في هذا المجال أكثر من أن تحصى.

لقد ورث الإمام الكاظم عليه السلام مدرسة أبيه الصادق عليه السلام وحظيت منه بالتوجيه والرعاية الشاملة، وقد أثرت عنه عدة مجموعات روائية مثل مسائل علي بن جعفر والأشعثيات وتصدى المعنيون بتراث أهل البيت عليهم السلام بجمع المأثور عن أهل البيت عليهم السلام وتنظيمه وتبويبه من مختلف المصادر[١١].

عبادة الإمام الكاظم عليه السلام:

استفاد رونالدسن مما أورده اليعقوبي[١٢] عن حياة الإمام الكاظم عليه السلام، ليذهب إلى أنه لقب بالكاظم لكظم الغيظ[١٣].

ويذهب جرهارد إلى أن هارون... اعتقل موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أثناء الصلاة في جامع النبي بالمدينة ثم نقل الإمام من سجن إلى سجن آخر، فبعد أن قضى عدة أشهر في سجون البصرة نقل في النهاية إلى سجن في بغداد وحمل اسم السندي بن شاهك، وهناك تركه الرشيد يتجرع السم، وكان موسى بن جعفر

الكاظم عليه السلام قد بلغ من العمر الخامسة والخمسين ثم تسلم ابنه علي الرضا عليه السلام[١٤].

وفي هذا الكلام دحضٌ للروايات التي ترى أن هارون الرشيد ليس له علاقة بمقتل الإمام الكاظم عليه السلام، ويرى الدكتور عبد الجبار ناجي أن الأمر يبعث على الحيرة، كيف كان التاريخ الإسلامي يدوّن بأقلام غير منصفة وخائنة لهؤلاء الذين كانوا يخافون على حياتهم والأكثر على مصالحهم لئلا تتضرر من حكام تلك السلطات العاتية فأخفوا بل في الحقيقة أقصوا الكثير من المعلومات المتعلقة بالأئمة الأطهار عليهم السلام وحرّفوا هذا القليل المتوافر وزيّفوه[١٥].

ويستشهد الدكتور عبد الجبار بما ورد عن الطبري بقوله: (فلننظر إلى المؤرخ الطبري الذي نعدّه أبًا للتاريخ الإسلامي كيف أنه أحجم عن ذكر الإمام الكاظم عليه السلام ما عدا روايات معدودة تخدم هارون...، فمثلاً نجده يقف صامتًا إزاء مؤامرة الرشيد لقتل الإمام وذلك خوفًا من أن يثير عليه نقمة وثائرة الحكام العباسين المعاصرين له أو أنصار الدولة العباسية)[١٦].

لقد كانت نهاية الإمام الكاظم عليه السلام مُرَّة وقد روى الشيخ المفيد في الإرشاد كيف بدأت المؤامرة على الإمام من أصحاب الوجاهات والزعامات بل من أصحاب الامتيازات التي لا تقوم إلا على حساب دماء الأبرياء والأطهار من آل بيت العصمة عليهم السلام حيث كان الكثيرون يتقربون إلى السلطة بالوشاية المغرضة فضلاً عن الدس والفتنة ليحصلوا على مال أو وظيفة أو رضا الدولة[١٧].

لقد استشهد الإمام الكاظم عليه السلام كما استشهد آباؤه من قبل طاهر الذيل نقي الكف صابرًا مجاهدًا محتسبًا عاملاً بالقرآن والسنة آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر ■

---

(١) ينظر : تأملات في آفاق الإمام موسى الكاظم عليه السلام : ٧.
(٢) ينظر : عقيدة الشيعة :١٦٠.
(٣) ينظر : عقيدة الشيعة :١٦٠.
(٤) ينظر : عقيدة الشيعة :١٦٠ .
(٥) ينظر عقائد الامامية :٩٩.
(٦) ينظر عقيدة الشيعة : ١٦٠.
(٧) ينظر عقيدة الشيعة : ١٦١.
(٨) ينظر عقيدة الشيعة :١٦١ ، ومقدمة ابن خلدون: ٢٣٤\١.
(٩) ينظر المستشرقون والدراسات القرآنية :١٦.
(١٠) ينظر عقيدة الشيعة :١٦٢.
(١١) ينظر أعلام الهداية : ١٨٣.
(١٢) ينظر تاريخ اليعقوبي :٤١٨ وما بعدها .
(١٣) ينظر عقيدة الشيعة : ١٦٤.
(١٤) ينظر سطوع نجم الشيعة : ٨٥.
(١٥) الإمام العبد الصالح : ٣.
(١٦) الإمام العبد الصالح :٣.
(١٧) ينظر الإرشاد : ٣٠٧ وعظمة الإمام الكاظم: ٣٢٩ .

مناجاة المريدين..

للإمام زين العابدين عليه السلام

دراسة وتحليل

حسين جودي كاظم الجبوري •

ينابيع

الصحيفة السجادية مجموعة من الأدعية المأثورة عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام وهو الرابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولد في سنة (٣٨هـ) وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين، وعاش حوالي (٥٧) عاماً، برز على الصعيد العلمي والديني إماماً ومثلاً أعلى في الورع والتقوى، وآمن المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليته، قال مالك إمام المذهب: (سمي زين العابدين لكثرة عبادته)[١] وكان الإمام إذا قام إلى الصلاة تغير لونه[٢] وكانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله تعالى وكان لا يسجد إلا على التراب[٣] ويقول في دعائه: (عُبَيدُكَ ببابكَ، أسيرُكَ بفنائكَ، مسكينُكَ بفنائكَ، سائلُكَ بفنائكَ، يَشكو إليكَ ما لا يَخفى عَليكَ)[٤].

وبعد استشهاد أبيه الإمام الحسين عليه السلام كان الإمام زين العابدين عليه السلام يمارس مسؤولياته وذلك خلال النصف الثاني من القرن الأول، في هذه الفترة التي تلت الفتوح حين أصبح المسلمون قادة الجزء الأعظم من العالم المتمدن، وبالرغم من هذا التوسع الإسلامي إلا أن المسلمين واجهوا خطرين، أحدهما الانفتاح على الثقافات المتنوعة وأعراق وأوضاع اجتماعية مختلفة بحكم تفاعلهم مع الشعوب الداخلة في الدين الإسلامي وكان لابد من حركة فكرية اجتهادية تؤصّل للشخصية الإسلامية إطارها الذي تستمدّه من الكتاب والسنة، فتستنبط ما تراه مقيداً

في الحالات المستجدة، وهذا ما قام به الإمام علي بن الحسين عليه السلام، فقد بدأ حلقة من البحث والدرس في مسجد الرسول الله صلى الله عليه وآله يحدّث الناس بصنوف المعرفة الإسلامية من تفسير وحديث وفقه ويفيض عليهم من علوم آبائه الطاهرين. وأما الخطر الآخر فقد نجم عن موجة الرخاء التي سادت المجتمع الإسلامي، فهي تعرض أي مجتمع إلى الانسياق في ملذات الدنيا والإسراف في زينتها وانطفاء الشعور الملتهب بالقيم الخلقية والصلة الروحية بالله تعالى واليوم الآخر، وقد أحس الإمام علي بن الحسين عليه السلام بهذا الخطر وبدأ بعلاجه واتخذ الدعاء أساساً له، وكانت الصحيفة السجادية من نتاج ذلك، فقد استطاع الإمام بما أوتي من بلاغة فريدة وقدرة فائقة على أساليب التعبير العربي وذهنية ربانية تصوغ أروع المعاني وأدقها في تصوير صلة الإنسان بربه ووجده بخالقه وتعلقه بمبدئه ومعاده وتجسيد الصلة من خلال القيم الخلقية والحقوق والواجبات.

وقد جاء في سيرة الإمام عليه السلام أنه كان يخطب الناس في كل جمعة ويعظهم ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في أعمال الآخرة ويقرع أسماعهم بتلك القطع الفنية من ألوان الدعاء والحمد والثناء التي تمثل العبودية المخلصة لله سبحانه وحده لا شريك له، وهكذا كانت الصحيفة السجادية تعبر عن عمل اجتماعي وتراث رباني فريد

يظل على مر العصور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب وتزداد الحاجة إليه كلما ازداد الشيطان إغراءً والدنيا فتنةً[٥].

أما المناجاة والدعاء فهما صلة بين العبد وربه عزّ وجل، فبعد معرفة الإنسان لوجوده الفقير انطلق من معرفة نفسه العاجزة، وتنبه إلى مصيره ومبدئه ومعاده، وعلم أن التوبة والإنابة إليه والتقوى هي زاد المسافر فيحتاج الإنسان إلى ذكر ربه تعالى بحسب طاقته ومعرفته (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات:٥٦). وفي أدعية أهل البيت عليهم السلام تجد المنهج والطريقة إلى ذكره تعالى وكيفية الارتباط به، تلك الطريقة التي تنسجم مع هواجس الإنسان واضطرابه في خضم ذلك الصراع مع النفس والهوى والشيطان. حين تجد الحل المناسب الذي يعبر عن دروس أخلاقية واجتماعية وزاداً ومعرفة للسالكين إليه سبحانه وتعالى، ومنها مناجاة المريدين التي تعبر عن حاجة روحية في مستوى معين.

وعند تتبع أسلوب المناجاة الخمسة عشر المروي في الصحيفة السجادية نلاحظ أن هناك ترتيبًا وتنسيقًا في فقراتها وأدعيتها فنلاحظ مثلاً أن مناجاة التائبين هي الأولى حيث تعبر عن حالة التوبة والإنابة والتذلل التي يحتاجها العبد في يقظته ورفع الغفلة عنه، ورجوعه إلى ربه عزّ وجل، لكي يشعر بالعبودية وفتح باب التوبة وغيره، ثم بعدها مناجاة الشاكين فترى أن نصيب العبد من المعرفة هو اصطدامه بحجاب المعاصي أو جذوره وهي النفس الأمّارة والشيطان وحب الدنيا وقسوة القلب المانعة من التوجه إليه تعالى، ثم مناجاة الخائفين وبعدها الراجين، ولعلها تعكس حالة الخوف والرجاء وهكذا ... .

فكل واحدة فيها مناسبة خاصة وأجواء خاصة تعبق منها طرق علاجية لتهذيب النفس ونفحات أخلاقية ودروس فيها منهج تربوي اجتماعي جعله الإمام عليه السلام لكي نصل إليه تعالى. بحسب الحاجة، لذا نرى التنوع الحاصل في المناجاة بحسب وجه العبد من الخائف إلى الراجي المريد إلى العارف الذي تجد فيها مستوىً عاليًا من الإقبال عليه تعالى ونوعًا خاصًا من المعرفة.

أما مناجاة المريدين فهي الثامنة بحسب التسلسل الموجود في الصحيفة السجادية المطبوعة بين أيدينا، ويظهر من عنوانها تعلق تلك المناجاة بالمريدين، والمريد هو السالك والمسافر إلى الله سبحانه سفراً معنوياً، بعد ترك تعلقات النفس والدنيا، والهجرة إليه تعالى لأنه الكمال المطلق الذي تعشقه الروح انطلاقاً من فطرة الله التي فطر الناس عليها، ولعل بالتأمل في هذه المناجاة وتدبر ألفاظها ينجلي لنا معنى المريد أكثر وحالته وطاعته وكيف يتقرب إلى الله تعالى حتى يصبح من الفائزين والسعداء في دار الحق سبحانه.

والمعلوم أن الله سبحانه خلق الإنسان لغاية معينة فأكرمه وسخر له الموجودات، وكان المحور في سعادته وشقائه هو القرب والبعد عن الحضرة الإلهية التي تلطفت عليه بإنزال الكتب السماوية وبعثة الأنبياء والمرسلين لدعوته للتأمل في حياته لكي يخرج من هذا العالم وينتهي به المطاف إلى مقره الأبدي، ومعلوم أنه فاقد الهداية لنفسه، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

يقول الإمام عليه السلام في أول المناجاة: (سُبْحانَكَ ما أَضْيَقَ الطُّرُقَ عَلى مَنْ لَمْ تَكُنْ دَليلَهُ وَما أَوْضَحَ الحَقَّ عِنْدَ مَنْ هَدَيْتَهُ سَبيلَهُ، إِلهي فَاسْلُكْ بِنا سُبُلَ الوُصُولِ إِلَيْكَ...).

الفقرة الأخيرة هنا من هذا المقطع (فَاسْلُكْ) وما بعدها دعاء وطلب لعله يكشف عن معنى المريد وغايته، ومن مضمون كلمة (فَاسْلُكْ) صيغة الأمر ومادتها، فالمريد هو السالك وغايته هي الوصول إليه تعالى وهناك الإرادة، فالعبد لا يستطيع وحده الانتقال من حالته هذه ومستوى فهمه، وطبيعته من عالم المادة إلى الإشراق والولوج إلى عالم الملكوت والغيب، وحده لا يستطيع ولو كان له قدرة لانتفت حاجة الهداية، فما دام الشيطان والهوى ورغبات النفس والحياة الطبيعية والغرائز فهو غير قادر، نعم هو يدرك وبصره وحواسه تعمل، لكن بصيرته وقلبه يكونان في عمى، فالإنسان بروحه التي أشرقت عليها أنوار الهداية يلج عالم الملكوت لا بحواسه وتفكيره، وحصول المنبهات العقلية والفطرية يحتاج إلى السير والخروج من عالم الطبيعة والتوجه إلى الغيب وهذا لا يكون إلا بإرادته وحوله وقوته سبحانه وتعالى، لا بحولنا نحن الفقراء في عالم يشوبه النقص والضعف والمحدودية، لذا يقول عليه السلام في بداية المناجاة: (سُبْحانَكَ ما أَضْيَقَ الطُّرُقَ عَلى مَنْ لَمْ تَكُنْ دَليلَهُ ...)

وورد في المناجاة الشعبانية: (وَبِيَدِكَ لا بِيَدِ غَيْرِكَ زِيادَتي وَنَقْصي وَنَفْعي وَضَرِّي؛ إِلهي إِنْ حَرَمْتَني فَمَنْ ذا الَّذي يَرْزُقُني وَإِنْ خَذَلْتَني فَمَنْ ذا الَّذي يَنْصُرُني). وكذا في المناجاة الشعبانية: (إِلهي لَمْ يَكُنْ لِي حَوْلٌ فَأَنْتَقِل بِهِ عَنْ مَعْصِيَتِكَ إِلاّ في وَقْتٍ أَيْقَظْتَني لِمَحَبَّتِكَ)[٦].

وكذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء الصباح: (إلهي إِنْ لَمْ تَبْتَدِئْني الرَّحْمَةُ مِنْكَ بِحُسْنِ التَّوْفيقِ فَمَنِ السَّالِكُ بِي إِلَيْكَ في وَاضِحِ الطَّريقِ)[٧].

ثم في مقطع آخر يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في مناجاة المريدين: (وَأَلْحِقْنا بِعِبادِكَ الَّذينَ هُمْ بِالبِدارِ إِلَيْكَ يُسارِعُونَ وَبِبابِكَ عَلى الدَّوامِ يَطْرُقُونَ وَإِيَّاكَ في اللَّيْلِ وَالنَّهارِ يَعْبُدُونَ وَهُمْ مِنْ هَيْبَتِكَ مُشْفِقُونَ).

هنا يلاحظ إضافة (العباد) إلى ضمير الكاف المخاطب في لفظ (بعبادك) طبعاً هذه الإضافة جعلت (العباد) معرفة لإضافتها إليه تعالى، فيفهم أنهم يعبدونه ولا يعبدون غيره، بقرينة قوله عليه السلام بعدها: (وَإِيَّاكَ في اللَّيْلِ وَالنَّهارِ يَعْبُدُونَ) وتقديم الضمير المنفصل (إياك) دال على التخصيص والحصر في العبادة إليه تعالى دون غيره، فالمعرفة والعبادة هي بداية الطريق، والطاعة والانقياد له تعالى، وللنبي صلى الله عليه وآله ولأهل بيته هو طريق النجاة. وتسميتهم (بالعباد) ولفظ (يعبدون) يعكس مدى معرفة هؤلاء المريدين وتوجههم إليه تعالى، أو انقطاعهم شيئاً فشيئاً في سلوكهم وعبادتهم، فهم (يسارعون ويطرقون الباب ويعبدون) هذه الأفعال الدالة على الاستمرار لغياب قرينة الحال فلو كان الفعل المضارع مقيداً بقرينة معنية لدل على زمان مخصوص من الحال أو الاستقبال.

أما قوله عليه السلام: (وَهُمْ مِنْ هَيْبَتِكَ مُشْفِقُونَ) هي من معطيات ونتائج العبادة والمجاهدة فالجو العبادي يشحن النفس ويجعلها ترتقي بالمستوى المطلوب لذلك

المريد فيشهد باطنه أنوار الهداية والهيبة. ولعل الأوصاف أو حالة هؤلاء التي يعكسها النص إلى هنا تمثل جانبي العبادة والعمل، أما في قوله عليه السلام: (الَّذِينَ صَفَّيْتَ لَهُمْ المَشَارِبَ وَبَلَّغْتَهُمُ الرَّغَائِبَ وَأَنْجَحْتَ لَهُمُ المَطَالِبَ وَقَضَيْتَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِكَ المَآرِبَ وَمَلأتَ لَهُمْ ضَمَائِرَهُمْ مِنْ حُبِّكَ وَرَوَّيْتَهُمْ مِنْ صافِي شِرْبِكَ ؛ فَبِكَ إِلى لَذِيذِ مُناجاتِكَ وَصَلُوا وَمِنْكَ أَقْصى مَقاصِدِهِمْ حَصَلُوا) هنا بالإمكان أن نقول إن هذا المقطع يشير إلى أوصاف العناية الإلهية التي أدركت هؤلاء العباد، وسبب حصولهم على ذلك هو لطفه تعالى بهم وفيضه ورحمته التي لا تنقطع أبداً، فالفقير يحتاج إلى الغني المطلق وبمجرد إقرار العبد بضعفه وفقره ثم توكله على الله، تنقذه الأنوار الإلهية من ظلمات الشهوة والأنانية والشيطان وتقذف به على بر الأمان، فيتبع ذلك النور الإلهي، وهو سبيل الطاعة والعبادة لا غير.

قوله عليه السلام: (فَيا مَنْ هُوَ عَلى المُقْبِلِينَ عَلَيْهِ مُقْبِلٌ وَبِالعَطْفِ عَلَيْهِمْ عائِدٌ مُفْضِلٌ وَبالغافِلِينَ عَنْ ذِكْرِهِ رَحِيمٌ رَؤُوفٌ وَبِجَذْبِهِمْ إِلى بابِهِ وَدُودٌ عَطُوفٌ ؛ أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنِي مِنْ أَوْفَرِهِمْ مِنْكَ حَظّاً وَأَعْلاهُمْ عِنْدَكَ مَنْزِلاً وَأَجْزَلِهِمْ مِنْ وِدِّكَ قِسْماً وَأَفْضَلِهِمْ فِي مَعْرِفَتِكَ نَصِيباً).

فالعبد عند تحقق الإقبال والتوجه إليه تعالى، يشاهد الأنوار التي تشرق على قلبه لتطهيره من أوساخ الغفلة، فسبب الحرمان هو الانصراف إلى غيره من المتعلقات النفسية والقلبية الشاغلة للعبد في حياته حيث إننا منشغلون في تدبير حياة البدن وملذاته تاركين حياة القلوب، فزادها وغذاؤها هو العبادة والتوجه إليه تعالى، وكلما ازددنا معرفة فقر أنفسنا وذلها وحاجتها كانت الحاجة للعبادة أكثر والاستعانة به سبحانه أحوج.

فقوله عليه السلام: (وَأَفْضَلَهِمْ فِي مَعْرِفَتِكَ نَصِيباً) فإدراك العلاقة بين عالم الإمكان وارتباطه بالغني المطلق ومعرفة آثار الحق وأفعاله وصفاته تعين المؤمن على عبادته، والتجافي عن دار الغرور، ويعيش الإنابة إلى دار الخلود، فالمعرفة هي الأساس لتوقف العبادة عليها، ألا ترى أننا نقرأ يومياً في صلاتنا قوله تعالى: (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فإن المعرفة التي تسبق الحمد والثناء على جميله وألطافه فينا هي أول الدين والعبادة، فأول الدين معرفته، وتلك المعرفة ترتبط به تعالى لأنه هو المحمود على كل شيء.

قوله عليه السلام: (فَقَدْ انْقَطَعَتْ إِلَيْكَ هِمَّتِي وَانْصَرَفَتْ نَحْوَكَ رَغْبَتِي فَأَنْتَ لا غَيْرُكَ مُرادِي وَلَكَ لا لِسِواكَ سَهَرِي وَسُهادِي وَلِقاؤُكَ قُرَّةُ عَيْنِي وَوَصْلُكَ مُنَى نَفْسِي)، هنا يبين هذا المقطع انقطاع هؤلاء العباد إليه تعالى، ويظهر هذا النص حالهم، فكل إنسان عندما يطلب غاية معينة نراه يبذل جهداً ملحوظاً في سبيل تحقيقها، تلك الغايات التي قد تكون محدودة وقد تكون من صنع خيالنا وأفكارنا، فما بالك لو أن الإنسان جعل غايته الارتباط بالله تعالى، فهؤلاء وفقوا لنيل المطالب وازدادت أرواحهم من المحبة الإلهية، وعاشوا لذيذ المناجاة معه تعالى، وكما في مناجاة المحبين يقول عليه السلام: (إِلهِي مَنْ ذا الَّذِي ذاقَ حَلاوَةَ مَحَبَّتِكَ فَرامَ مِنْكَ بَدَلاً وَمَنْ ذا الَّذِي أَنِسَ بِقُرْبِكَ فَابْتَغى عَنْكَ حِوَلاً).

لذا فقوله عليه السلام: (وَانْصَرَفَتْ نَحْوَكَ رَغْبَتِي فَأَنْتَ لا غَيْرُكَ مُرادِي) يبين صفة المريد وحاله فهؤلاء تحولوا إلى عشاق للحضرة

الإلهية، فالله تعالى رأى عبادتهم ووفقهم بلطفه وجذبهم إليه، وانقطعوا إليه تعالى، وازدادوا شوقاً وولهاً، كما في المقاطع التي تلي هذا النص الأخير، واتصال حبل المناجاة مع الله تعالى التي هي راحة لهم، وبهذا فهم يعترفون أن دواء علتهم وشفائهم هي عنده تعالى، فهو المعين لهم عندما تضيق السبل لأجل الارتقاء في كمالات نفوسهم وتطهير أنفسهم ويعينهم على المجاهدة لأجل الوصول إلى مراتب وجودية أعلى تنكشف لهم أنوار الحقيقة أكثر لذا يقول عليه السلام: (وَعِنْدَكَ دَوَاءُ عِلَّتِي وَشِفَاءُ غُلَّتِي وَبَرْدُ لَوْعَتِي وَكَشْفُ كُرْبَتِي ، فَكُنْ أَنِيسِي فِي وَحْشَتِي ... الخ) فالانقطاع إليه تعالى هو الغنى بعينه وفيه إجابة الدعوة وشفاء الغليل يقول أمير المؤمنين عليه السلام في المناجاة الشعبانية: (إلهي هَبْ لي كمال الانقطاع إِلَيْكَ وَأَنِرْ أَبْصَارَ قُلُوبِنَا بِضِيَاءِ نَظَرِهَا إِلَيْكَ حَتَّى تَخْرِقَ أَبْصَارُ الْقُلُوبِ حُجُبَ النُّورِ فَتَصِلَ إِلَى مَعْدِنِ الْعَظَمَةِ وَتَصِيرَ أَرْوَاحُنَا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدْسِكَ)[٨].

نسأل الله أن يأخذ بأيدينا للانقطاع إليه والتوكل عليه ■

(١) نور الأبصار/الشبلنجي ص٢٠٠.
(٢) منتهى المطلب/العلامة الحلي ج٥ص٢١٣.
(٣) مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٢٩٠ ، عن المصباح.
(٤) الصحيفة السجادية (ابطحي)/للإمام زين العابدين ص٥٣٦.
(٥) للمزيد: راجع التقديم للصحيفة السجادية بقلم السيد محمد باقر الصدر.
(٦) إقبال الأعمال /السيد ابن طاووس ج٣ ص٢٩٨).
(٧) مفاتيح الجنان/عباس القميص١٢٣).
(٨) إقبال الأعمال /السيد ابن طاووس ج٣ ص٢٩٨.

أجوبة مسابقة العدد(٤٩)
وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: أ. خمس عشرة سنة

السـؤال الثاني: ب. ذات الحليفة

السـؤال الثالث: أ. غزوة ذات الرقاع

السـؤال الرابع: أ. كانت له أول راية عقدت في الإسلام

السؤال الخامس: ج. ٤ أشخاص

السؤال السادس: ب. ثلاثة

السـؤال السابع: ج. الإمام محمد بن الحسن الحجة المنتظر

السـؤال الثامن: ج. شهر ذي الحجة

السـؤال التاسع: أ. يومان

الفائز بالجائزة الأولى: جاسم عبود عباس/ كربلاء المقدسة ـ الهندية.

الفائز بالجائزة الثانية: حسن علي كاظم طوفان/ كربلاء المقدسة ـ الهندية.

الفائز بالجائزة الثالثة: قيس جواد سماوي/ كربلاء المقدسة ـ طويريج.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العدد (٥١)

١ يعد حديث السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليهما السلام من أقدم ما ذكر بتفصيل حادثة ميلاد الإمام المهدي عليه السلام، حيث شاهدت وروت، وممن روى عنها سيد هاشمي، فمن هو؟

أ. موسى بن محمد بن القاسم الموسوي.

ب. أبو هاشم الجعفري.

ج. يحيى بن الحسين العلوي.

٢ من أعلام العلماء أسدي حليّ يكنى بأبي الحسين من أهم كتبه (العمدة من عيون الأخبار في مناقب الأئمة الأبرار) ولد سنة ٥٢٣هـ وتوفي سنة ٦٠٠هـ، فمن هو؟

أ. ابن نما.

ب. ابن البطريق.

ج. ابن إدريس.

٣ في مجلس حضره أمير المؤمنين عليه السلام ناشد الحاضرين ومن بينهم أبو سعيد الخدري ممن شهد الغدير أن يقوموا للشهادة بتفضيله ذلك اليوم، فكم كان عددهم؟

أ. ١٦ شخصاً. ب. ١٧ شخصاً.

ج. ١٨ شخصاً.

٤ لذ إن دهتك الرزايا والدهر عيشك نكّد

بكاظم الغيظ موسى وبالجواد محمد

بيتان لشاعر ولائي عرف بمحبته لآل البيت عليهم السلام وهما مكتوبان في الإيوان الذهبي في المشهد الكاظمي، فلمن ينسبان؟

أ. الشيخ عباس الملا. ب. الشيخ سلمان الأنباري.

ج. الشيخ كاظم آل نوح.

كوبون المسابقة

ينابيع ٥١

جواب السؤال الأول: أ ب ج

جواب السؤال الثاني: أ ب ج

جواب السؤال الثالث: أ ب ج

جواب السؤال الرابع: أ ب ج

الاسم الثلاثي: .....

العنوان: .....

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار. الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه(مسابقة مجلة بنابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ شوال/ ١٤٣٤هـ.

جواب السؤال السابع

أ	ب	ج

جواب السؤال السادس

أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع

أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس

أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن

أ	ب	ج

٥ أبشر أبا طالب عما قليل بالولد الحلاحل النبيل
يا آل قريش فاسمعوا تأويلي هذان نوران على سبيل
أبيات سمعها أبو طالب قبل زواجه بفاطمة بنت أسد وهما من قبيل البشارة، فمن القائل؟
أ. راهب الجحفة. ب. بحيرا الكاهن.
ج. صوت من السماء.

٦ عروة بن مسعود الثقفي، زعيم من زعماء العرب، سادقومه بني ثقيف فكان فخرهم وكبيرهم، ولما أسلم وذهب إلى قومه ودعاهم إلى الإسلام قتلوه ففي أي سنة استشهد؟
أ. ٨ هـ. ب. ٩ هـ. ج. ١٠ هـ.

٧ «الحمد لله الذي أشهدنا مشهد أوليائه في رجب» مقدمة الزيارة الرجبية التي تُقرأ في المشاهد المشرفة، رواها نائب من نوّاب الإمام المهدي عليه السلام، فأي النوّاب هو؟
أ. النائب الثاني. ب. النائب الأول.
ج. النائب الثالث.

٨ شقيق الإمام الباقر عليه السلام من أمه وأبيه، وليٍّ صدقات جده أمير المؤمنين عليه السلام، كان، جليلاً جميلاً وقد عدّوه من أصحاب أبيه الإمام السجاد عليه السلام، توفي وله من العمر ٥٧ سنة، فمن هو؟
أ. عمر الأشرف. ب. زيد الشهيد.
ج. عبد الله الباهر.

٩ للإمام زين العابدين عليه السلام مناجاة معروفة قدّم بها أروع صور التقرب إلى الله تعالى، حيث ناجاه بكلمات العبد العارف المطيع لمولاه، فكم عدد هذه المناجاة؟
أ. ١٣ مناجاة. ب. ١٤ مناجاة.
ج. ١٥ مناجاة.

مجلة ينابيع

آية الله العظمى الشيخ محمد حسن النجفي (صاحب الجواهر) المتوفى سنة ١٢٦٦هـ